# المحترق

## سَيْر وسُلوك السّالك العَارف

آية اللّه الشيخ محمد جواد الأنصاري الهمداني


إعداد: المؤسسة الثقافية للدراسات (شمس الشموس)

المترجم: الشيخ أحمد سامي وهبي






www.daralwalaa.com

المرحوم الأنصاري الهمداني ...
قضى وقته في عبادة اللّه وتوحيد اللّه.

الإمام الخميني - قدس سره -.




# المحترق

## سير وسلوك السالك العارف
## آية الله الشيخ محمد جواد الأنصاري الهمداني




بيروت لبنان، برج البراجنة، الرويس، شارع الرويس
Mob.: 00961 3 689 496

ISBN 978-614-420-234-0

**اسم الكتاب:** المحترق

سير وسلوك السالك العارف

آية اللّه الشيخ محمد جواد الأنصاري الهمداني.

**إعداد:** المؤسسة الثقافية للدراسات (شمس الشموس).

**المترجم:** الشيخ أحمد سامي وهبي.

**الناشر:** دار الولاء لصناعة النشر.

**الطبعة:** الأولى، بيروت، ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م.

# المحترق

## سير وسلوك السالك العارف

## آية الله الشيخ محمد جواد الأنصاري الهمداني

١٢٨١- ١٣٣٩هـ. ش


إعداد: المؤسسة الثقافية للدراسات (شمس الشموس)

ترجمة: الشيخ أحمد سامي وهبي





دار الولاء



# لماذا المحترق؟!

هل رأيت حتى الآن شخصاً عاشقاً لهذا الحد يحترق قلبه وجسمه أيضاً؟

هل سمعت حتى الآن جسماً «محترقاً» بلهيب العشق حتى يسود؟

فانظر إليه «الأنصاري الهمداني» هو كان محترقاً بروحه وجسمه النحيف.

«في يوم من الأيام ذهبنا معه وعدد من الأصدقاء للاستحمام إلى حمام عمومي، عندما نظرنا إلى صدره، كانت الناحية اليسرى من صدره وفوق قلبه بالدقة سوداء، وكأنها قد احترقت من شدة الحرارة. قلنا له بخوف: صدركم يا سيدي؟ أجاب: هذا من احتراق الباطن».

من هذه النار الخافية التي في صدري

الشمس شعلة أحاطت بالسماء[1]

لهذا سمينا هذا الكتاب عن أحواله «المحترق».

---

(١) تعريب شعر فارسي.

# مدخل

تخيل الماء والورد من أجل التبرير[1]

ما ذكرناه ليس في بيان حال الأنصاري الهمداني، فهو قد أضاع وجوده في وجود صاحب الوجود، وإذا نظرت جيداً رأيت أن لهذا العشق، هو الذي اختبأ بين السطور، فيحترق ويحرق، ويتكلم عن نفسه، ويقول:

منذ ذاك الزمان الذي كان هو (العشق) فيه لم يكن الأنصاري الهمداني. منذ ذاك الزمان الذي خطا فيه الأنصاري في عرصة الوجود عرفه العشق.

من ذاك الزمان الذي جذبه إلى طريقه، وسقاه من كأسه جرعة بجرعة، ومحاه من نفسه.

ثم بقي العشق والعشق.

نعم إن بداية ونهاية ما جرى هو، وهو يجذبنا إليه ببطء وهدوء، بشوق أو كره سواء أردنا أم لم نرد، ويجذبنا إليه في النهاية.

في حال أن هذا الطريق فان.

---

(١) تعريب شعر فارسي

في حال أن الفرار والبقاء ليس من العشق.

في حال أنه هو نفسه مشتاق لنا.

يجب أن لا نحتج بأننا في النهاية سيكون مكاننا بين أحبابه.

الأنصاري الهمداني عاشق خالص. ذهب نحو العشق هرولة، وأسرع العشق نحوه أيضاً، واحتضنه سريعاً. فمن وضع قدمه في طريقه يهرول العشق نحوه.

فلنسرع فالوقت ضيق.

نعم!

أيها الساقي لا تحتج بأن مسير الخمر هو بقدر

بعيد لأنه إذا كان مع العاشقين وجب له التسلسل[١]

والآن «المحترق».

---

(١) تعريب شعر فارسي

# المقدمة

**من يد العشق...**

«أنت الذي أزلت الأغيار عن قلوب أحبائك حتى لم يحبوا سواك ولم يلجأوا إلى غيرك...ماذا وجد من فقدك وما الذي فقد من وجدك...»[1].

حقاً هو الذي يري محبيه تجلياً من أجمل تجلياته، فتسلب قلوبهم، وجميع تجليات جماله جميلة. وهكذا كلما أضاء نور من منزل ليلى أشرق حسن ذالك الكنز المخفي، وأشعل منبع الوجود شوقاً جديداً في ناره المشتعلة، ووضع سالك آخر قدماً ويكبر على الدنيا والآخرة وكل ما فيهما تكبيراً رجولياً، ويتجرع زلال العشق جرعة جرعة في حال أن لسان حاله ومقاله مترنم بهذا النغم:

أيها الساقي أعطني الكأس من ذاك الخمر الذي يجعلني بلا نفسي

بحسنك الباعث للاضطراب يجعلني أكثر عشقاً من قبل[2]

---

(١) القمي، عباس، مفاتيح الجنان، دعاء عرفة.

(٢) تعريب شعر فارسي

يحرقني يصنعني يرميني في النار

ومني يحررني يجعلني غريباً عن نفسي(١)

وعندها يخرج رأسه من ذال الكأس حتى يصير اتصال روحه باللّه أقوى من اتصال شعاع الشمس بالشمس:

«إن روح المؤمن لأشد اتصالاً بروح اللّه من اتصال شعاع الشمس»(٢).

وإذا غاب عنه وأغمضت عين القلب عنه المحبوبلحظة، لترك قالب البدن شوقاً:

«العارف... لو سهى قلبه عن اللّه طرفة عين لمات شوقاً إليه».(٣)

حقاً كيف نستطيع أن ندرك شوقهم إلى اللّه وشوق اللّه إليهم ونبينه، فالمحبوب الأزلي والأبدي قال في حديث قدسي في بيان اشتياقه للمدبرين عنه وغير العارفين:

«لو علم المدبرون عني كيف اشتياقي لهم وانتظاري إلى توبتهم لماتوا شوقاً إلي، ولقطعت أوصالهم».(٤)

نعم إن شمس العشق تشرق دائماً بكرم وسخاء ومنتظرة

---

(١) رهي‌معيرى.

(٢) الكليني، أصول الكافي، باب التوحيد، نقلاً عن «رسالة لقاء اللّه» ص٢٥٤.

(٣) الكيلاني، عبد الرزاق، مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة،ج ٢، ص٥١٩.

(٤) ملكي تبريزي، ميرزا جواد آقا، رسالة لقاء اللّه، ص١٤١.

وعينها على الدرب وعلى روزانة قلب الجميع، كي تجد قلباً مستعداً وواسعاً لها، كما جاء في الحديث القدسي للنبي عيسى – عليه السلام –:

«يا عيسى! كم أطيل النظر، وأحسن الطلب، والقوم لا يرجعون»[١].

تعالوا نصرخ نحن أيضاً من قلوبنا كأمثال آية اللّه بهاء الديني، ملكي تبريزي، القاضي، والأنصاري همداني في جواب نداء المعشوق هذا:

«آه آه! شوقاً إلى من يراني ولا أراه».[٢]

ولا ندعه منتظراً أكثر من ذلك، ونقول لندائه لبيك، ونكون مطمئنين أنه في تجارة العشق هذه ليس فقط ليس فيها ندم، بل جرعة بعد جرعة ولذة في لذة.

«لبيك اللهم لبيك...لبيك لا شريك لك لبيك...».

---

(١) م.ن.

(٢) القمي، الشيخ عباس، مفاتيح الجنان، دعاء ليالي شهر رمضان المبارك.

# الفصل الأول

# السيرة الذاتية

**سيرة ذاك الحبيب الذي ليس مثله حبيب...**

**الولادة**

صاح العشق عندما ظهر مدمى كبد

اهتز الحسن عندما ظهر صاحب نظر[1]

«حملني ملك إلى السماوات، وعبر بي من طبقات السماوات، فرأيت النبي- ﷺ وسلم- وقد رفع رأسه وبشرني بولدي، وقال: انتبهي جيداً إلى هذا الولد فهو محط نظرنا»[2].

أكرم بهذه الأم الطاهرة التي ستربي في حضنها المليء بالحنان طفلاً محبوباً، بث عمراً نار العشق في محترقي القلوب، وأعطى شراب العشق طعماً جديداً.

وفي عام ١٣٢٠هـ.ق الموافق للعام ١٢٨٠هـ.ش وضع طفل

(١) تعريب شعر فارسي.

(٢) فاطمة الأنصاري، عن لسان أم الأنصاري.

من مدرسة العشق قدمه على مهد الأرض في مدينة همدان، كي يصير مدرساً لمئات المدرسين، ويصير وجهاً ذواقاً للألم وحاملاً للأمل بين رجالها السمر.

أيها الرجل الإلهي مبارك قدومك على الجالسين على التراب، وليكن تراب قدمك قرة أعين المنتظرين.

ذهب الليل جاء الصبوح، ذهب الغم جاءت الفتوح

أشرقت الشمس حتى كانت الريح كذلك[1]

**الوالدان**

والده هو المرحوم الحاج الملا فتحعلي الهمداني من علماء وفضلاء همدان، المتولد في شيراز، ولكن فيما بعد كلف جاء إلى همدان من أجل التبليغ والبرامج الدينية، وأقام هناك. أمه كانت إنسانة صالحة اسمها «ماه رخسار السلطنة» من أقارب ناصر الدين شاه، وبما أن أولاد الشيخ الأنصاري بعد رحيل أمهم وأبيهم الكبير كانوا تحت كفالتها، فقد كانوا يذكرونها بالخير والتعظيم. فلتكن روحها قرينة الرحمة الإلهية.

**التحصيل والتدريس**

في سن ثمان سنوات بدأ تحصيله الحوزوي في مدينة همدان. تتلمذ في الفقه والأصول عند أساتذة منهم السيد علي عرب

---

(١) تعريب شعر فارسي.

النجفي، واستفاد منه أيضاً في بعض الكتب الفلسفية مثل منظومة السبزواري والأسفار. وتعلم اختصاص طب الخمسة اليوناني في همدان عند الميرزا الحاج حسين كوثر الهمداني، وكان صاحب رأي في الطبابة بحيث أن أولاده كانوا ينقلون أنهم في المنزل كانوا جميعاً مستغنين عن الأطباء، وكان أبوهم أفضل طبيب. هذا طبعاً لم يكن فقط بالنسبة لأولاده، بل كان البعض يأتيه من الأطراف والأكناف للمعالجة حيث سنشير فيما بعد إلى قصة معالجة شخص يهودي.

الشيخ محمد الأنصاري مع امتلاكه لاستعداد وقدرة ذاتية عالية جداً وهمة كبيرة وفق لنيل درجة الاجتهاد في سنين الشباب في سن الرابعة والعشرين.

بعد تأييد مرتبة اجتهاده بواسطة علماء همدان سافر إلى قم بتشجيع بعض الكبار وحضر درس المرحوم آية اللّه عبد الكريم الحائري اليزدي. وبعد المعرفة الارتباط الذي حصل بين هذين العظيمين، ومع أن الشيخ عبد الكريم كان يقول له: أنتم لا حاجة لديكم للتحصيل في قم، وتأييد ورقة اجتهاده، لكن الشيخ الأنصاري بقي في خدمة هذا العظيم . الشيخ الحائري أرسله إلى السيد أبي الحسن الأصفهاني فأمضى هو أيضاً ورقته باحترام.

وتم تأييد ورقة اجتهاد الشيخ الأنصاري من كبار مثل آية اللّه محمد تقي الخوانساري وآية اللّه القمي البروجردي- قدس اللّه أسرارهم-. معرفة الشيخ الأنصاري بكبار مثل الإمام الخميني، آية اللّه الآخوند الملا علي المعصومي وآية اللّه السيد محمد

تقي الخوانساري- قدس اللّه أسرارهم- كانت في تلك الحوزة الدراسية، وكان رفيقه بالمباحثة آية اللّه الكلبايكاني.

كان الشيخ الأنصاري قبل سفره إلى قم وبداية تحوله في همدان يدرس دروس السطوح ودرس الخارج، وكان لديه حاشية على العروة الوثقى تركها غير تامة.

**التغير**

«...يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نوراً تمشون به...»[١].

وفجأة رشحت رشحة من نور الرحمة على قلبه، واشرقت على قلبه شعلة من نار العشق، عندها انفتح كتاب جديد في حياة هذا العالم الفقيه، وجعل منه عاشقاً خالصاً وعارفاً بلا حد وموحداً صرفاً.

عشقك سرق مني الإنيةوالنحنوالأنا

لم يكن ذاك عشقك فالحل في نفي الذات[٢]

وهكذا ألقى العنان من يده حتى آخر العمر، وصار صيداً للمحبوب، وصائداً للغزلان الآخرين. توجه للتهذيب والتزكية، وألقى بنفسه القدسية ونظرته الجذابة وكلامه المحيط سر الحبيب على صدر أصحاب الخلوة، وروى ظمأ المحارم بخمر لذيذة.

---

(١) سورة الحديد، الآية ٢٨.

(٢) تعريب شعر فارسي.

نحن نار العشق إذا وصلنا إلى الشمع

مثل الشمع وصلنا إلى الفراش المظلوم

قمنا بهجوم رجولي مجنون

كي نعطي العلم ونصل إلى المعلوم

بآية الكرسي نحو العرش قفزنا

ركضنا حتى الحي ووصلنا إلى القيوم[١]

ونداء في العرش مدو:

﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾[٢].

**تلامذته**

لم يكن محفل أنسه خاصاً بتلامذته فقط، فكل شخص كان يرتوي بمقدار سعته الوجودية، حتى العلماء والمراجع كانوا يحضرون إليه ويطلبون منه برنامجاً عملياً مع وصاياه الخاصة. وبهذا النحو صار هو بالعناية الإلهية مرجع المراجع، ويمكن أن نعد من تلامذته: آية اللّه حسنعلينجابت، آية اللّه الشهيد السيد عبد الحسين دستغيب، الشيخ غلام حسين السبزواري، الشيخ بيات، حجة الإسلام السيد عبد اللّه فاطمي وغيرهم...

مفتاح كنز السعادة قبول أهل القلب

(١) ديوان شمس، غزل ١٤٨١.

(٢) سورة الإنسان، الآية ٥.

لا ينبغي الشك والريب في هذه النكتة

سائر الوادي الأيمن أحياناً يصل للمراد

حيث خدم شعيباً عدة سنوات بروحه[1]

**الرحيل**

وعندما يجعل محرم العشق قلبه وعاء للرماد، يقع في فراش المرض:

الآن عشوة دلالك أخذتني من كياني

وكيف عامل وصل الشمس هذا الفراش الذي لا يخاف كي يقول الطبيب المعالج عندما عاين قلبه بعجب:

«هذا القلب احترق سنوات بالعشق ولم يبق منه شيء».

نعم! حريق الاشتياق من ناحية ونار الفراق من ناحية أخرى، آه الصدر من ناحية و...... من ناحية أخرى، ثقل غم العشق من ناحية، وجسد نحيف من ناحية أخرى سلم قلبه المصفى ومرآته المجلوة لريح الفناء وجعله رماداً!

وفي اليوم التاسع من اردیبهشت سنة ١٣٣٩هـ.ش، الموافق للثاني من ذي القعدة عام١٣٧٩هـ.ق، أقفل كتاب حياة هذا العارف المشتاق، كي يبدأ سيره في نشأة أخرى ويصل به إلى نهايته في حضور حضرة الحبيب.

---

(١) ديوان حافظ.

وهل لهذا ... نهاية،

وهل لهذا السير نهاية،

وهل لهذا البحر قعر؟!

فقصة العشق لا انفصام لها...

نعم وهكذا تكون نهاية هذا الطريق بدايته:

لو سلمت كل العالم للفناء

الخطوة الأولى أن تكون أنت إن نظرت[١]

ومسكين هذا القلب! الذي بقي وقعد في الوحل ويفكر فقط في الطيران:

هل طريق السماء مفتوح لي أنا أيضاً؟

هل شرابه قد عد لي أنا أيضاً؟

وهل يصير مرضه دواءً لي أنا أيضاً؟

ويناديني بندائي الخامس:

﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ ...﴾[٢].

هل تنصرنا لنكون أنصارك أبداً؟

---

(١) تعريب شعر فارسي.

(٢) سورة محمد، الآية ٧.

﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ...﴾[1].

وهل تذكرنا كي نذكرك دائماً؟

إذن هنا الخيار لك!

الخيار لك!

لك...

أيها القلب بماذا فكرت بالعذر للتقصيرات

من جانبه كان كثير الوفاء ومن جانبك كان كثير الجفاء

من جانبه كان كثير الكرم ومن هذا الطرف الخلاف والكثير والقليل

من طرفه كانكثير النعم من طرفك كان كثير الخطأ

من ناحيتك كان كثير الحسد كثير الخيال والظن السيئ

من جانبه كان كثير الجذب كثير الإطعام العطاء

لأي فائدة كثير الإطعام؟ كي تصير روحك المرة جيدة

كثير الجذب لأي فائدة؟ كي تصير في الأولياء

كي تصير في الأولياء...[2]

(١) سورة البقرة، الآية ١٥٢.

(٢) كليات شمس تبريزي، غزل ٣.( فارسي).

# الفصل الثاني

# هوى العشق

## شرط الخطوة الأولى هو أن تكون مجنوناً

### هوى العشق

أيها العشق كل التبرير منك...

روي الإمام الصادق- عليه السلام -أن» العشق جنون إلهي ...»[1]

والعشق غيور ومحرق للشركة، ولا يترك شيئاً باقياً في العالم غيره. نعم قد جعل الله تعالى كل العالم مرأة وجوده ومظهر أسمائه وصفاته، كي لا يرى الإنسان أينما نظر غيره، ولا يبقي في القلب غير لطفه، بل يدرك أنه لا وجود لغيره أبداً، وكل ما هو موجود فهو من ندى كفه.

والعشق إذا تعلق بأذيال أحد فإنه كالعشقة يتمسك ويلتف رويداً رويداً من رأسه إلى أخمصوجوده، ويتغذى منه، حتى يحرق تمام

(١) مصباح الشريعة، ...

وجوده ويجعله جافاً، وفي النهاية إذا نظرت إليه رأيت أن كل ذاك الوجود عشق بعشق ولا شيء آخر، كما يقول مولانا:

العشق هو تلك الشعلة التي إذا اشتعلت

أحرقت كل شيء باق سوى المعشوق

حد «لا» قاطع في قتل غير الحق

فانظر فيما بعد «لا» ماذا يبقى

يبقى «إلا اللّه» وجميع الباقي ذهب[١]

هذه المرة تعلقت هذه النار المقدسة بذيل آية اللّه الشيخ محمد جواد الأنصاري الهمداني، وابتلي.حتى وصل إلى حد نسي درسه وبحثه ومقامه، وتاه في الجبال والسهول. هذا التحول ونقطة العطف في حياته كانت على النحو التالي:

لقد أمضى الشيخ محمد جواد الأنصاري الهمداني حتى سن الرابعة والعشرين في العلوم الحوزوية والفقه والأصول،ونال درجة الاجتهاد. هو لم يفكر حتى ذلك الزمان بشيء آخر غير الدرس والبحث، ولم يكن لديه هدف أو غاية أخرى. كان يجلس على كرسي التدريس، وفي ذلك الوقت كان ينشعل حتى النهاية بالعلم الرسمي الذي هو كاملاً قيل وقال.

فجأة لمعت في قلبه بارقة من اللطف الإلهي، وأخذ نسيم الجذبات الربيعية الإلهية تهب على وجوده، وحولته.

---

(١) مثنوى معنوى، دفتر بنجم، أبيات٥٨٨-٥٩٠.

بهذا النحو كان هو حتى ذلك الزمان معارضاً للعرفان والعرفاء، ولكنه تحول فجأة بفعل مقلب القلوب، وتغير طريقه ومسير حياته، وتذكر قول اللّه تعالى:

«يا ابن آدم! خلقت الأشياء لأجلك وخلقتك لأجلي»[١].

ووجد مجدداً هذا المعنى:

العقلاء هم نقطة» بيكار» الوجود ولكن

العشق يعلم أنهم تائهون في هذه الدائرة[٢]

**بارقة لطف**

بداية ماجرى كانت كذلك:

الطلاب الذين كانوا يأتون إلى درسه وبحثه جاؤوا له بخبر أن عارفاً ولهان يلبس لباس أهل العلم جاء إلى همدان، والعلماء والفضلاء يحضرون درسه، ويتحلقون حوله. عندما سمع هذه الأخبار رأى أن من واجبه أن يذهب ويرشد ذلك الجمع، وعندما دخل ذلك المجلس تكلم معهم ساعتين وهو ويأتي بأدلة كي يجعلهم يقبلون أنه لا طريق آخر غير طريق الشرع، والطرق الأخرى انحراف محض. لكن في تلك الأثناء وعند انتهاء كلامه، وقف ذلك العجوز صاحب الضمير الحي ونظر نظرة نافذة إليه وأفهمه بلسان الحال أنه:

---

(١) علم اليقين، ج ١، ص٣٨١.

(٢) تعريب شعر فارسي.

كل من لم يكن فيه من هذا العشق لون

ليس عند الله إلا خشب وحجر

العشق يخرج من كل حجر ماء

العشق يرسم في كل مرآة لوناً

الكفر بالحرب حل والإيمان بالصلح

العشق يشعل النار في كل صلح وحرب(١).

يا شيخ جواد! أنت لم تذق حتى الآن طعم العشق؟ ومن كان بلا عشق فهو ليس إلا خشباً وحجراً. أنت أيضاً أعطه طريقاً، وانظر كيف يصير قلبك مرآة الله، وتجري على لسانك ينابيع الحكمة. نحن ليس لدينا نزاع معك، أنت منا، ثم قال بلسان القال جملة واحدة فقط وهي:

«عن قريب ستشعل أنت ناراً بمحترقي العالم».

وتستقر هذه الجملة كالسهم في روحه، وتتوقف رجل العقل الخشبية عن السير، وتوجد فيه تحولاً عميقاً، فبقول أمير المؤمنين- عليه السلام - كذلك تفعل المواعظ بأهلها.

حقيقة كيف يعلم أنه قد لم يأت ذاك العجوز بنفسه إلى ذاك الجمع، وكان منتظراً للأنصاري الهمداني؟ على كل حال هو الذي كان غريباً عن تلك الألفاظ والعبارات أحنى رأسه، وخرج

(١) تعريب شعر فارسي.

من ذلك الجمع، وهو يحس بحرارة نار محرقة في وجوده، ولكنها تجعله لطيفاً، مثل: «إني آنست ناراً». وتزداد حرارة بدنه أكثر فأكثر، ولا يطول الأمر حتى تحيط هذه النار المقدسة بالشيخ الوقور المتعبد وتجذبه بألسنتها.

في تلك الليلة ذهب الشيخ جواد الذي لم يعد بعد ذلك يحس في نفسه بالجوع والعطش، إلى فراشه مضطرباً وحيران، ورأى في تلك الليلة في المنام أنهم يسقونه شراباً أحمر بلون العشق بكاسٍ كمثل: «كأس كان مزاجها كافوراً» كتب على جوانبها: العارِف فينا كالبدر بين النجوم وكجبريل بين الملائكة.

من هنا إلى ما بعد يصير العشق قائده، ويمسك بزمام عقله وإرادته، ويطعمه بيده ويسقيه، وتذوب في النهاية كيمياء نحاس وجوده بحرارتها وتتبدل إلى ذهب. وعندما يستيقظ من ذاك النوم يجد مجدداً الشخص الذي تركه سنوات بانتظاره، هو الآن يراه أمامه منتظراً أن يسمع منه جواب» لبيك» وأن يذكر عنده «قالوا بلى».

يقول «لبيك» ويصير الجواب «بلى»، بداية «البلاء». بلاء محرق للغير ومشعل للعدو يجعل المرء خالصاً، ويحرق بناره غير الخالصات كي يوصله إلى مقام المخلِصين والمخلَصين.

قلبي يعطي جواب «بلى» صلاتك

أقم الصلاة فللروح خمر سعيد بلاؤك[١]

وأنت يا عزيز اللّه انتظر «لبيك» مني ومنك...الآن!

---

(١) تعريب شعر فارسي.

## الشوق اللذيذ

بعد أن ذاق حلاوة وحرارة العشق، جلس مع إلهه للنجوى:

«إلهي ... ما أطيب طع حبك وما أعذب شرب قربك فأعذنا من طردك وإبعادك...»[١]. وصارت أحواله بعدها أحوال عاشق مشتاق، كما يقول الإمام الصادق- عليه السلام -:

«المشتاق لا يشتهي طعاماً ولا يلتذ شراباً ولا يستطيب رقاداً ولا يأنس جمعاً...»[٢].

**بعدها رأسي ووسادة العافية هيهات**

**لهذا الهوس الذي في رأسي الأغبر**

الأنصاري الهمداني لن يرى بعد ذلك سكينة وراحة، فهو لديه مبتغى آخر، فلا يستطيع أن يشغل قلبه بالدرس والبحث، ولا يستطيع أيضاً تسكين النار الملتهبة في نفسه التي تزداد أكثر يوماً بعد يوم، وتتزايد حيرته وتيهه، ولا يوجد شخص يستطيع على الأقل أن يواسيه.

بدأ يفتش عن مرشد كي يجد حلاً لمشكلته؛ لكنه كان يرجع دائماً خالي الوفاض، فيبدأ رويداً رويداً بتجنب الناس وعلماء همدان ايضاً، وابتعد عن مقامه الاجتماعي ويترك التدريس. لقد فهم أن كل ما يبعده عن قصده هو صنمه، وبقول مولانا: يجب أن

---

(١) مفاتيح الجنان، مناجاة العارفين.

(٢) مصباح الشريعة، ج٢، ص٢٤٥.

يدع العقل البعيد الفكر جانباً، ويختار العشق والجنون.

من هذا العقل الجاهل يجب الابتعاد طراً

يجب التمسك بالجنون

علمت العقل البعيد الفكر

بعد هذ الجنون اصنع نفسي[١]

كل ما هو غير العشق والجنون

في هذا الطريق بعد وغربة[٢]

«والمشتاق ... لا يأوي داراً ولا يسكن عمراناً ولا يلبس ليناً ولا يقر قراراً».[٣]

صارت أحواله كالشواء على النار، الناس يكفرونه، ويتذكر يوماً اجتمع الناس حول شخص يسمونه صوفياً، ودخل عليهم في تلك الحال وحاول حماية الناس؛ لكنه سمع من ذلك الشخص: لا تفعل ذلك فأنت ستبتلى أكثر مني. فلجأ بدون ملجأٍ وحيداً حاملاً ثقل الملامة على ظهره إلى حرم أمن حضرة المعصومة عليها السلام والصحاري في الأطراف كي يكون بعيداً عن الناس لكن غير بعيد عن معشوقه.

الراحة والسلامة كانتا هوسي ولكن

---

(١) مثنوى معنوى، دفتر دوم، ابيات، ٢٣٢٨-٢٣٢٧.

(٢) م.ن، دفتر ششم، بيت ٦٠٩.

(٣) مصباح الشريعة، ج٢، ص٢٤٥.

أشعلت فتنة تلك النرجسة الفتانة فلا تسأل

بجرعة واحدة ليس بعدها أذى شخص

أحمل أذى من الناس الجاهلين فلا تسأل[١]

يتحول إلى شخص قهره سطوة العشق، ويذيقه هيجان العشق حلاوته، ويصير فراشة تسلم نفسها عشقاً لشعلات النار، ولا تخاف منها، ويصير ملجأها شعلات النار. لقد كبر على الدنيا وكل ما فيها، واشترى المنغصات والملات بروحه، وجلس في تلك الصحاري للخلوة مع محبوبه. يضرب بفقر أبواب السماوات، يمسح رأسه بالسجدة ويسأل حاجته بتضرع، فيجد نفسه وحيداً وتائهاً أكثر من ذي قبل.

لكن مع ذلك كله لم يكن يقر له قرار، فهو كان يجلس في تلك الصحاري في تلك الليالي الباردة والأيام الحارة في الصحراء الملتهبة للمناجاة مع اللّه تعالى، ويضع رأسه على الأرض صارخاً:

«إلهي... وقراري لا يقر دون دنوي منك ولهفتي لا يرجها إلا روحك وسقمي لا يشفيه إلا طبك...»[٢].

إلهي تعلم أن قراري لا يقر إلا بقرارك، وخيبتي لا يبجلها إلا روحك وريحانك، وأنت تعلم أن طبيب آلامي هو أنت، فأجبني، ولا تتركني وحيداً.

---

(١) ديوان حافظ.

(٢) مفاتيح الجنان، المناجاة الخمسة عشر.

ولأنه لم يجد مرشداً وصل اضطرابه وافتقاره وفقره إلى أوجه، ورفع رأسه متضرعاً ومنادياً:

تحرق منزلك أحرق

من ذا الذي يقول لا يجوز

أحرق جيداً هذا البيت أيها الملك المجنون

هذا أولى ببيت العاشق

بعد هذا أجعل أنا المحترق قبلة

لأني أنا شمع أستنير بالاحتراق[١]

## تربية الله

فسلم وجوده كله وكاملاً للعشق، وتوسل بالنبي الأكرم- ﷺ وسلم-، وفي النهاية فتح له الباب، ويحتضن الشاهد المقصود. وهكذا حصل كما يقول هو والسيد القاضي وتلامذته:

«هو لم يكن لديه أستاذ، وقد تعلم التوحيد مباشرة من اللّه سبحانه».

ويقول هو:

«من حينها وما بعد كلما كانت مكاشفات أو طوارئ ذهنية تظهر علين ولم أتمكن من إيجاد جوابها، كنت أتوسل بساحة النبي الأكرم- ﷺ وسلم- وكنت أجد الجواب».

---

(١) مثنوى، معنوى، دفتر ششم، ابيات ٦٢٠- ٦١٨.

لقد ألقى بعيداً في تلك الحال كل ما جمعه من العلوم الغريبة؛ لأنه لم يكن يرى فيها بعد ذلك حاجة، والله تكرم عليه بالعلم اللدني، ووصله بمعدن الحكمة.

«ويعبد الله ليلاً ونهاراً راجياً بأن يصل إلى ما يشتاق إليه وناجيه بلسان شوق معبراً عما في سريرته».(١)

وكما يقول الله سبحانه لداود:

«وبعيني مايتحملون من أجلي، وبسمعي ما يشتكون من حبي».

ويجد أنه يجب أن يتربى فقط على يد الله، وهذه إرادة الله فهو ليس لديه مرشد، ويجب أن يقطع طريق العشق وحده، وأن يكون الله أستاذه. وبسبب عدم وجود أستاذ لديه وتحمل الرياضات والعبادات، وحمل ثقل العشق صار بدنه نحيفاً، ولعله لهذا السبب كان وفاته في سن ٥٩ سنة.

نقل عنه- قدس سره-: «لو لم أكن أعرف الطبابة لكنت مت حتى الآن ٧٠ مرة».

نعم:

طريق هو طريق العشق حيث ليس هناك جانب

هناك لا حل إلا بأن يسلموا الروح

---

(١) مصباح الشريعة، ج٢، ص٢٤٥.

يقول صهره الحاجإسلاميه: كتب الشيخ الأنصاري في حواشي كتاب أسرار الصلاة أموراً منها:

«التقيت بشخص اسمه محمد وأصررت عليه أن يجيب عن أسئلتي، وهو أخذ مني وعداً أن أدعو له. سألته: كم يطول الأمر كي أصل إلى الفناء؟ قال: ١٤ سنة، قلت: ألا يمكن أن يكون أقرب؟ قال: نعم، بالتضرع والتوسل. سألت عن باقي عمري، قال: ٢٥ سنة.

طبعاً طرح أسئلة أخرى، ويقول المرحوم غلام حسين السبزواري والحاج حسين بيات الذين كانا من ملازميه أنه ظاهراً تم بأربع أو خمس سنوات. وبهذا النحو جعله عشق المحبوب مشرداً في الجبال والصحاري، وشوق الوصال جعله يختتم طريق ١٤ سنة بأربع أو خمس سنوات.

**المحترق قبلتي**

بعد هذا أجعل أنا المحترق قبلة[1]

لقد كان دائماً يمسح رأسه بالتراب ويتضرع ويجلس لمناجاة المعبود: كي يستطيع أن يطوي هذا الطريق الطويل بدون مرشد. وعندها جعلته نار العشق ولوعة الهجر ضعيفاً، فدعى اللّه باضطراب:

---

(١) تعريب شعر فارسي.

«فقد انقطعت إليك همتي وانصرفت نحوك رغبيي...»[١].

مولاي أنت ترى جسدي النحيف الضعيف الذي جاء نحوك، وقطع القلب من الجميع، وامتلأ كبده دماً:

«فأنت لا غيرك مرادي ولك لا لسواك سهري وسهادي...»[٢].

أنت ترى أن مرشدي الوحيد ومرادي هو أنت، ولا مشد لي، ترى:

في الليالي المظلمة أملي أن يكون وجهك عند الصبح[٣]

وسكب الدمع الحار وتأوه قائلاً:

«ولقاؤك قرة عيني، ووصلك منى نفسي...»[٤].

هذه العيون التعبة لا تضيء إلا برؤياك فقط، ومنى قلبي وصالك. وقال بحرقة وأنين:

«وإليك شوقي وفي محبتك ولهي وإلى هواك صبابتي...»[٥].

حقاً متى تضع يدك على القلب الذي يخفق بعشقك، وتضع مرهماً على صدري؟

«آه شوقاً إلى من يراني ولا أراه...».

---

(١) مفاتيح الجنان، مناجاة المريدين.

(٢) م.ن.

(٣) تعريب شعر فارسي.

(٤) مفاتيح الجنان، مناجاة المريدين.

(٥) م.ن.

وركع ونادى حبيبي:

أعطيت القلب لك ولم أعلم

أنك لديك كبر ودلال كثير

تدلل وبعد عذبني

أخيراً أيها الحبيب أي مذهب هذا؟[١]

نعم! وبهذا النحو وجد الأنصاري الهمداني حياة جديدة، ووضع قدمه على طريق جديد، وهنيئاً له فالسماويّون حيارى منه، والأرضيون مضطربون عليه.

يا عطشان العشق! يا ليتنا نصير أنا وأنت مثل الأنصاري الهمداني مشتاقين للّه، ونحترق بعشقه، نجد حياة جديدة، ويكون لسان حالنا:

كنت ميتاً صرت حياً، كنت باكياً صرت ضاحكاً

دولة العشق جاءت، وصرت دولة الخلود

قال: لست مجنوناً لست أهلاً لهذا المنزل

ذهبت وصرت مجنوناً وصرت مربوطاً بالسلسلة[٢]

يا ليتنا أنا وأنت نذوق لذة الجنون والتيه، كي نعلم إن هذه الأحوال واقعية، ونحن أيضاً نستطيع أن نصير عاشقين. يا ليتنا

---

(١) عراقي، ديوان غزليات.

(٢) تعريب شعر فارسي.

نحن أيضاً نرمي كل ما يقيد أيدينا وأرجلنا، ويحرمنا من السماء، ونصير سكارى. يا ليتنا نترك قبلة أنفسنا جانباً، فنحن خلقنا من أجل العشق، وأريد لنا أن نكون فراشات لا شمعاً، ونصير دخانا ًمنتشراً في ناره، ولا نبقي لأنفسنا وجوداً.

قال: أنت لست سكراناً اذهب فلست من هذه الجماعة
ذهبت وصرت سكراناً، وامتلأت من الطرب
قال: أنت صرت شمعاً صرت قبلة هذا الجمع
لست جمعاً، لست شمعاً، صرت دخاناً منتشراً[١]

لا نذهب من غير الطريق، وندع كي يكون قائدنا، ليتنا نصنع جناحنا وريشنا، مقامنا وموقعيتنا وما يفرح قلبنا من أنفسنا، وندعه يكون هو وحده جناحنا وريشنا، ونكون أعداء هذا الوجود المجازي، كي نصير وجوداً حياً به:

قال: أنت شيخ وسري، وإمام وقائد
لست شيخاً، لست إماماً، صرت عبد أمرك
قال: لديك جناح وريش، لن أعطيك ريشاً وجناحاً
في هوس الجناح والطيران صرت بلا ريش ومنزوع الريش
وجد قلبي إشراق الروح، انفتح قلبي وانشق
حاك قلبي أطلس جديداً، صرت عدو هذا المهترئ[٢].

---

(١) ديوان شمس، كليات.

(٢) م.ن.

## الفصل الثالث

# زمن عدم الاستقرار

**ما هو الاستقرار؟ ما هو الصبر؟ أين النوم...**

**مبتلى بك**

ما دام قلبي موجوداً يكون مبتلاً بك...[1]

روي عن الإمام علي- عليه السلام -:

«حب اللّه نار لا يمر على شيء إلا احترق ونور اللّه لا يطلع على شيء إلا أضاء».[2]

والتهب قلبه في شعلات هذ المحبة، وانبعثت ألسنة نار الشوق من وجوده، وقال:

«في إحدى المرات اشتدت حرقة قلبي، حتى أحسست ان

---

(١) تعريب شعر فارسي.

(٢) مصباح الشريعة، ج٢، ص٢٣٩.

موتي قريب. كنت أحترق ولم يعد لدي بعدها أمل بالبقاء[١]. كنت مطمئناً أنني لن أدوم وسأحترق، كنت أحترق ... فجأة أحسست أن نوراً ظهر، وأصاب قلبي، وحينها اطمأن قلبي، ونزلت حرارته»[٢].

نعم!

في الوصل أيضاً من عشقك أيتها الوردة في النار

اشتعل! كي تعلم ماذا أتحمل[٣]

**المحب الصادق**

العشق غيور، ويجعل بالنار كل غير رماداً، وهذا العاشق الصادق منذ البداية حيث لمعت في قلبه البارقة، قطع قلبه من كل غير، ووهب القلب لمحبوب واحد، انقطع عنه النوم والغذاء والطعام، وضرب في الجبال والصحاري والهاً وحيران، وصار تائهاً في الصحراء.

كان هو من مشتاقي البلاط الربوبي، وسار في هذا الشوق صادقاً حتى النهاية.كان ولهه وعشقه الشجاع في أيام الشباب بنحو صار غافلاً معه كاملاً عن وضعه، وكان يذهب غافلاً

---

(١) يقول آية الله الأنصاري أن السيد حسن المسمى «غبار الهمداني» ابن السيد رضا الهمداني الذي كان من تلامذة آية الله الأنصاري: «المرحوم غبار الهمداني أخذته الجذبة الإلهية واحترق».

(٢) نقلاً عن الشيخ علي محمود حقيقي.

(٣) تعريب شعر فارسي.

عن نفسه إلى الطريق والصحراء، يلجأ أحياناً إلى حرم حضرة المعصومة المطهر، وأحياناً يأوي إلى الجبال والصحاري. حاله هذه أدت إلى أن يهينه الآخرون ويحقّروه، ولكن هذا الرجل الإلهي كان غارقاً في اللّه ويعلم:

يتحمل الملامة مجانين الحبيب(١)

ولم يكن يرى الآخرين كي يحزن من ذمهم، وكان حديث قلبه:

مقابل وجهك الأخرون صورة على الحائط(٢)

وفي هذا المجال الشخص الوحيد الذي يجده الأنصاري الهمداني كي يستطيع مساعدته قليلاً ويرشده في هذه الأعاصير المهولة هو الحاج حسين القمي من تلامذة الميرزا جواد آقا الملكي التبريزي. طبعاً لم يكن لديه صفة الأستاذ، ولكنه كان ينقل له كلام الميرزا جواد، وكان يستفيد منها. وكان الشيخ الأنصاري بعدها يذكره الخير والاحترام.

كانوا يسعون به ويذكرونه بسوء عند الشيخ عبد الكريم الحائري، وكانوا يسخرون من حالاته، وينسبون إليه صفة الدرويش، وآخر المر يناديه الشيخ الحائري ويقول له:

«اكتم أحوالك».

---

(١) تعريب شعر فارسي.

(٢) تعريب شعر فارسي.

نعم! هو كان هو قد علق مجدداً بهذا العشق الباعث للجنون، ولم يكن يعلم حتى الآن أنه يجب أن يبتلع شراراته ولا ينبس بنفس:

نريد قلباً مثل النار فيحرق النار

يهيج مائتي بحر ولا يخاف من موج البحر[١]

هو لديه لي القلب دفينة مخفية، جوهرها لهيب العشق، ولا تبرد لوعته حتى يسكن:

الليلة الماضية صرت مجنوناً، رآني العشق وقال

جئت لا تصرخ، لا تتجرع الكأس، لاتقل شيئاً[٢]

وهذا العشق كان معلمه الحقيقي واستاذه في هذا الطريق الصعب والباعث للاضطراب:

شيخوخة عشقك لا شعر أبيض...[٣]

ولأنه عشق بدون غل وغش، وتجاوز بنفسه الراحة والمقام والاعتبار والمنزلة والعلم والظاهر والجاه والمقام وغيره، فسموه العاشق الحقيقي، وقد أخذوا بيده إلى المقصد اللانهائي، كان حقاً حبيب اللّه.

والمحب أخلص الناس سرّاً للّه تعالى، وأصدقهم قولاً[٤].

---

(١) تعريب شعر فارسي.

(٢) تعريب شعر فارسي.

(٣) تعريب شعر فارسي.

(٤) مصباح الشريعة، جد٢، ص٢٣٧.

«فيما بعد صار أشخاص يأتون إلى خدمته، ويعتذرون منه بسب الإهانة والذم السابق، ويقول لهم: لماذا تعتذرون، أنا لا أذكر شيئاً»(١).

نعم! فالمحب الصادق هو من كان زاهداً:

«كان الشيخ حسين القمي الذي كان في ذلك الزمان إلى حد ما مرافقه ومؤانسه، وفيما بعد كان الشيخ الأنصاري يأتي لخدمته، يخاطبه ويقول: الحمد للّه لقد وجدت سراً ووضعاً. كناية عن أنك اتخذت سراً ووضعاً وظاهراً. ويقول الشيخ الأنصاري: في ذلك الزمان أعطانا اللّه حالة، لم نكن نتوجه لهؤلاء والآن هو غير حالنا ووضعنا»(٢).

أنت لا تطلب من السكارى دليلاً

ماذا تقول عن أصحاب كأس بياض الصباح ايها المرفوض(٣)

وبما أن عشقه كان رفيق طريقه وكان الطريق أيضاً، لم يكن هناك حلّ إلا بالاحتراق، لهذا السبب تحمل رياضات كثيرة وقاسية، بحيث أن جسمه في السنوات المتقدمة صار نحيفاً جداً وضعيفاً. تقول والدته:

«ولدي قبل أن يقع في هذا الطريق كان سميناً جداً وبديناً وأبيض»(٤)

---

(١) نقلاً عن الشيخ علي محمود حقيقي.

(٢) م.ن.

(٣) تعريب شعر فارسي.

(٤) نقلاً عن السيدة فاطمة الأنصاري.

ولعل قصر عمره كان لهذا السبب، يقول- قدس سره-:

«لو صرت شاباً الآن لعلمت كيف يجب أن أسير، ولكان الطريق أسهل من العمل الذي قمت به».[1]

ومختصر كلامه هو:

لدى العشاق كل نَفَس محرق

ليس على القرية الخراب خراج وعشر

الدم لدى الشهداء أولى من الماء

هذا الخطأ أولى من مائة صواب[2]

**شرارة العشق**

يقول تلامذته عن شرر عشقه الذي كانت ألسنته تخرج من وجوده وعينيه، وتجعله ضعيفاً:

«عندما كان الغزل يقرأ في الجلسات كانت دموعه تجري على خديه بدون أن يتغير لون وجهه، كان شيئاً عجيباً، كان يزداد احمراراً وجمالاً. وهو نفسه كان جميلاً وكان لعيونه جمال، وعندما كان يذهب في الحال، لا يعود المرء يستطيع أن ينظر إليه من شدة الجمال...»[3]

---

(١) نقلاً عن الشيخ علي محمود حقيقي.

(٢) مثنوى، معنوى، دفتر دوم، ابيات ١٧٦٢- ١٧٦٥.

(٣) نقلاً عن آية الله دستغيب.

ويقولون:

لم يكن من الممكن النظر في عينيه، كانت المحبة تلتهب اشتعالاً منه»[١].

نعم!

لأن عنك تسلم القلب من القابعين في الزوايا

أن نسعى وراءك ليس معصية من جانبنا[٢]

ونحن لا نعلم فتنة عينيك هي حاصل النظر إلى عينين بديعتين لأي حبيب! ولا نعلم امتداد نظرتك العاشقة تلاقت مع أي معشوق رائع. هل توصل سلامنا نحن أيضاً إلى محضر ذاك المطمئن؟!

رأسي خرج من يدي، عيني من الانتظار احترقت

على أمل رأس وعين جميل المجلس[٣]

### ميناء الخمر

وكانت بسمته صورة كأس خمر تلذذت بحلاوته الأفواه وهو أيضاً ذكرى ذاك العشق الجياش الذي يبعث الاضطراب، «كان يضحك بشكل جميل، وعندما كان يضحك كأن الجنة كلها كانت

---

(١) نقلاً عن الشيخ علي محمد حقيقي.

(٢) تعريب شعر فارسي.

(٣) تعريب شعر فارسي.

في ضحكته، تزيل كل الهموم والغموم، يصير المرء مجنوناً من الشوق»[١].

نعم!

ضحك وبكاء العشاق من مكان آخر

الخمر قصري عند المساء ووقت السحر الخمر شَعري[٢]

إلهي!

«اجعلنا ممن دهرهم الزفرة والأنين...»[٣].

---

(١) نقلاً عن السيد علي محمد دستغيب.

(٢) تعريب شعر فارسي.

(٣) مفاتيح الجنان.

## الفصل الرابع

# لطف آخر

**كل لحظة له معي أنا المحترق القلب لطف آخر...[1]**

### لطف آخر

بعد أن ألقت بارقة الجذبات الإلهية في شباب روحه هديراً وولولة روحانية، أمضى مدة عدة سنوات في حالة الضياع والحيرة.[2]

جعله اختيار الخلوة، وسياحة الصحاري، والمجاهدة والتهذيب أكثر اضطراباً وجمالاً، وفي النهاية يثمر بذر كماله وطمأنينته، وعندها حين يصل إلى السكون، تقل ورؤية الالتهاب والاحتراق الخارجي منه، ويتصل وجوده بالمحيط، بحيث يتحمل كل الاعاصير والصواعق في نفسه، ولا يعود لها بروز وظهور.

---

(١) تعريب شعر فارسي.

(٢) كان ذلك ظاهراً في سن الثمانية والعشرين أو الثلاثين.

ذاك الذي رأى القعر كان الخطيب

وذاك الذي رأى البحر كان هو الحيران

ذاك الذي رأى القعر ينوي النوايا

وذاك الذي رأى البحر يجعل القلب بحراً[١]

والآن مضت سنوات من أيام الالتهاب والاضطراب، من أيام الضياع، ومن ليالي الوحدة المظلمة، ومن بكاء الغربة، ومن المناجاة العاشقة ومن الرياضات الشجاعة. وكان يتحرك من منزل إلى منزل بدون توهم وحذر، ويعبر من مرحلة إلى مرحلة حتى عبر من وادي العشق والحاجة ووضع قدمه في ديار المعشوق و الشوق والدلال ومرة ثانية يبدأ سيره من البداية.

**هوى جديد**

نعم!

تهدأ أمواج روحه الهادرة ويخمد التهابه الظاهري، وإن كان عمق روحه قد ازداد وصار موجباً للحيرة أكثر، ومهما كان لديه من الجوهر فقد صار مستوراً ومخفياً في عمق روح ذاك القلب البحر. لكن ظاهره له سكون ووقار باعث للعجب. والآن ذاك «المحترق» منتظر لإرادة الحبيب، كي يوجه طريقه إلى أي ناحية، فيناجي ربه:

---

(١) مثنوى معنوى، دفتر بنجم، ابيات٢٢٠٩- ٢٢٠٨.

أنت قل أنا المحترق المثقل ماذا أفعل؟

وعلى هذا النحو تبدأ مرحلة حياته التالية. يجب أن يخرج من صدفته وينطلق إلى مساعدة العطاشى، ويريق شراب الوصال في فم المشتاقين جرعة جرعة بدون منة، ويحركهم من واد إلى واد.

من مقامات التبتل إلى الفناء

درجة بدرجة حتى لقاء اللّه[1]

لذا ما سنتكلم عنه عن أحواله وسيرته في الفصول الآتية هي عموماً مرتبطة بهذه البرهة من حياته التي تم الحصول عليها من تلامذته وأقربائه. ولو لم يكن هناك تلامذة شملتهم الهداية الإلهية وسارعوا إلى محضره، لما كنا وصلنا إلى أي معرفة بذاك البحر من الزمرد، وذاك الجبل من الكتمان.

وأنت يا رجل اللّه!

نحن لا نعلم كيف سمعت في كل سنوات العشق والجنون تلك الملامات، وتحملت الإساءات؟!

نحن لا نعلم كيف جلست في تلك الصحاري مع ذاك المحبوب الأزلي، وطرقت أبواب السماء؟!

نحن لا نعلم كيف وضعت وحدك وبدون أستاذ المرهم على جروح شفرة العشق الفولاذية، ولم تقع أرضاً؟!

---

(١) تعريب شعر فارسي.

نحن لا نعلم كيف تحملت المصاعب وحدك، وتحملت صواعق السلوك، وجعلت الاستقرار بدون قرار؟!

كيف تقبلت حمل البلاء والجفاء بروح أقوى من الجبل؟!

كيف تحملت أوسع من الصحراء، هدرت أشد اضطراباً من الريح، بكيت أكثر خجلاً من السحاب، احترقت أكثر اشتعالاً من الشمس، وحيّرت السماويين بك؟!

والآن، علقنا أيدي آمالنا بذيلك، ونناديك: نحن أيضاً ضقنا بأنفسنا الحقيرة. وقلوبنا مازال لديها ذاك العشق القديم الذي لا يبرد بأي برودة. نحن أيضاً عطاشى لمطر يمطر وينمو.

نحن قلوبنا ضاقت من أجل اللّه

حقاً هل تأخذ بيدنا يا رجل اللّه؟!

حقاً هل تصدق أنني أهوى العشق...

## الفصل الخامس

# السيرة العبادية

منسوجة ذكراك في خيوطي ونسيجي...

### الصلاة والدعاء

صاحب السر يجب أن يدرك سيره التوحيدي في بحره اللانهائي، وذاك المنبع البعيد الغور، فما يكتب بالقلم ويبرز بالكلام هو التوحيد التواصفي، وما هو ذوقي ومسكر هو التوحيد التواجدي. الواصفون هم في قيد اللغات، والواصلون في البحر العميق و:

لا تدري مذاق هذه الخمر باللّه ما لم تذق...

أما إذا انبعثت قبسات من تلك الشعلات الباطنية خارجاً، جعلت الآخرين سكارى ومبهوتين، ولألقت نفساً بنفس.

«لي مع اللّه وقت لا يسعه ملك مقرب ولا نبي مرسل»[1].

---

(١) بحار الأنوار، ج١٨، ص٣٦٠.

## احتراقاً سأحترق

وكانت الصلاة بالنسبة إليه خلوة الوصل الحلوة، عندما كانت تفوح من عطرها شمّة، كانت تجعل المصلين هائمين. يحكي الدكتور على الأنصاري:

كان الشيخ الأنصاري يصلي في سرداب الحاج محمد طاهر في مسجد همدان الجامع، وكان الأشخاص الذين يصلون خلفه هم أشخاص خاصون كان لديهم معرفة بالشيخ. وبعد صلاةالمغرب والعشاء كان يذهب هو وعدد من تلامذته إلى المنزل، وكنت أنا مع أبي. هؤلاء كانت حالهم بعد الصلاة تنقلب، ولم يكن لدى أحدهم القدرة على الكلام، وكانوا يغرقون في سكوتهم وخلوتهم. في أحدى المرات عندما كنا نعود من المسجد حصل لدى أحد الأصدقاء انقلاب روحي شديد، بحيث بدأ بتنفس نفساً وراء نفس ويبكي بلا انقطاع. كان الجو بارداً وشتوياً، عندما وصلنا إلى المنزل، ذهب الجميع وجلسوا تحت «الكرسي»[١]، ولكنه من شدة الحرارة التي كان لديه وقع خارج الكرسي، وكان صدره حاراً إل قدر، وكان يتنفس نفساً وراء نفس، فقال والدي المرحوم: اذهبوا وأحضروا ثلجاً وضعوه على صدره. عندما وضعوا الثلج على صدره كأن الثلج وضع على المدفأة، وكان يصدر صوتاً كذلك».

نعم، فمن يذهب إلى المعراج يستطيع أن يحمل غيره إلى

(١) طاولة يضعون تحتها مرفأة ويغطونها بغطاء سميك يحفظ الحرارة، ويستدفئون بها.

المعراج. يجب أن تكون خفيف الجناح وتتعلق بأذياله. فصلاته لم تكن ورداً بل كانت سيراً، ولم تكن صلاته حضوراً بل كانت خلواً من الحضور كما يقولون:

«أفضل صلاة هي التي لا يكون لديك فيها حضور»[١].

يقول الشيخ إسلاميه عن صلاته:

«أحياناً بعد الصلاة وكما كان في حال التوجه للقبلة، يلتفت تلامذته إلى أنه في ليس في حالة عادية، وهو غائب عن نفسه».

غبت عن نفسي يا روحي أكثر مما أريد...

**آداب الصلاة**

كان يهتم جداً بالصلاة في أول الوقت، وكان يوصي كثيراً بنوافل الصلاة، وكان هو يأتي بالصلاة مع جميع مستحباتها. غالباً ما كان الذكر الذي يقوله في السجدة: مرتين سبحان ربي الأعلى وبحمده وثلاث مرات سبحان اللّه. طبعاً أحياناً يكون لديه حالة خاصة. كان يقرأ بصوت ويطيل الركوع والسجود، ويصلي على النبي وآله مع وعجل فرجهم واللعن. وفي القنوت كان يقرأ دعاء يا من أظهر الجميل عندما كان يقرأ هذا الدعاء يكون حاله عجيباً، عجيباً!».

نعم، أعلمت الجميع أنه لم يأتني أحلى منك...

---

(١) محي الدين بن عربي.

## نور القرآن

يقول أحمد الأنصاري عن أنسه بالقرآن:

«كان يأنس بالقرآن، ويهتم به. بين الطلوعين يكون مستيقظاً، يقرأ القرآن ساعة ونصف، وبعبارة أخرى كان يصيبه المحو في القرآن.

في زمان السيد البروجردي أتى الكربلائي كاظم الساروقي الذي أفيض عليه القرآن إلى منزلنا وكان عدد من العلماء من جلمتهم الآخوند الملا علي المعصومي، وكانوا يريدون امتحانه هو كان أمياً ولكنه كان يقرأ القرآن غيباً ويقرؤه بالعكس أيضاً. والأهم هو أنه كان يستطيع أن يقرأ حروفه بالعكس كانه يراه، مع أنه كان أميّاً. ولكن أبي قال لا حاجة للامتحان، لقد أفيض القرآن عليه فلا تتعبوا. قالوا: أنت من أين تعرف؟ قال: في وجهه نور لا يوجد في الآخرين»(١).

كان الشيخ الأنصاري يقول:

«شيئان يجعلان في الإنسان النور، انظروا إلى قارئي العزاء كم هي نورانية. سببه مطالعة الأخبار وأحاديث محمد وآل محمد- عليهم السلام -، هي تجلب النور. وكذلك القرآن وآيات كلام اللّه المجيد، غاية الأمر أن نور هذين الاثنين يختلفان»(٢).

---

(١) نقلاً عن الشيخ إسلامية.

(٢) نقلاً عن أحمد الأنصاري.

**عشاقك في صلاة دائمون**

لم يكن سيره في الصلاة فقط، ولا صلاته كانت صلاة فقط، فعشاقك في صلاة دامون، وكان هو دائم الذكر، أيمكن في حضور السلطان ذكر غير السلطان؟

خمسة أوقات جاءت الصلاة أيها المرشد

عشاقك في صلاة دائمون

لا يقنع بخمسة ذاك الخمار

صدقاً أقول لا بمائة لا بمائة ألف[١]

احياناً عندما كان يذهب مع تلامذته إلى الصحراء، كان يأخذ جانباً عن الجمع، ويجلس في زاوية للذكر والفكر والعبادة، وعندما كان يذهب إلى منزل الأصدقاء، كان يقول:

لماذا نجلس بدون عمل؟ وكانوا يقومون للصلاة والعبادة.

نعم!

«ومن أعظم النعم علينا جريان ذكرك على ألسنتنا، وإذنك لنا بدعائك وتنزيهك وتسبيحك. إلهي فألهمنا ذكرك في الخلاء والملأ والليل والنهار والإعلان والإسرار، وفي السراء والضراء. وآنسنا بالذكر الخفي واستعملنا بالعمل الزكي»[٢].

---

(١) مثنوى‌معنوى، دفتر ششم، ابيات ٢٦٧٠- ٢٦٦٩.

(٢) مفاتيح الجنان، مناجاة الذاكرين.

يقول الدكتور على الأنصاري:

«في وضعين كان يخرج فيهما عن الحالة العادية. واحدة في الزيارة، وواحدة بعد الصلاة، وبالخصوص بعد صلاة المغرب والعشاء حيث لا يكون لديه القدرة على الكلام، والجلسات التي كانت لديه بعدها عموماً كانت تمر بالسكوت، وأحياناً كان ينقلب، ويضيق قلبه ويأخذه البكاء».

كان يقول: اللّه سبحانه جمع جميع أسرار العرفان في الصلاة. وحقيقة: هذه الصلاة هي معراج المؤمن.

**صلاة الليل**

والليل هو محفل أنس أحباب اللّه ومشهد سر العارفين.

في نصف الليل والجميع سكارى بالنوم فرحين

أنا وخيالك وآهاتي المليئة بالألم[1]

وجاء في حديث قدسي أنه مما ناجى اللّه به داود- عليه السلام -:

يا داود! عليك بالاستغفار في دلج الليل.

يا داود! إذا جن عليك الليل فانظر إلى ارتفاع النجوم في السماء، وسبحني وأكثر من ذكري حتى أذكرك.

يا داود! إن المتقين لا ينامون ليلهم إلا بصلاتهم لي، ولا يقطعون نهارهم إلا بذكري.

---

(١) تعريب شعر فارسي.

يا داود! إن العارفين كحلوا أعينهم بمرود السهر، وقاموا ليلهم يطلبون بذلك مرضاتي.

يا داود! إنه من يصلي بالليل والناس نيام يريد بذلك وجهي، فإني آمر ملائكتي أن يستغفروا له، وتشتاق إليه جنتي فيدعو له كل رطب ويابس»[١].

ونحن ماذا لدينا من قداحه السكرانة كي نقول؟ لا شيء، لا شيء...

آه من نرجس عين المعشوق كم كشفت سحراً

آه من ذاك السكران كم فعل بالناس الواعين![٢]

سألنا الدكتور علي الأنصاري عن هذا الأمر وكان يعرف برنامجه- قدس سره- الليلي فقط، لكن لا أحد يعرف عن أحواله شيئاً، يقول الدكتور:

«بما أنني كنت أنا الذي أقوم بأعماله، كنت أحياناً أذهب إلى نحوه في الليل ويكون في حال العبادة. كان برنامجه بهذا النحو: كان على العشاء يأكل قليلاً جداً، ويستريح، ويصلي النوافل. بعد مدة يستريح، ثم يقوم مرة ثانية ويصلي صلاة الشفع والوتر، ويبقى مستيقظاً إلى مقربة من الصباح حيث تشرق الشمس، مع أنه كان بدنه في الأواخر ضعيف جداً».

(١) ملكي تبريزي، رسالة لقاء الله، ص١٢٩. إرشاد القلوب، ج١، ص٨٦.

(٢) تعريب شعر فارسي.

## محفل الليل

«كان الشيخ يوصي تلامذته بصلاة الليل وأداء الفرائض ويؤكد على النوافل كثيراً جداً، وكان يقول لبعض تلامذته: إذا فاتتك نوافلك فاقضها».[١]

يا غاية الأماني قلبي لديك فاني

شخصي كما تراني من غاية اشتياقي[٢]

ويتابع الدكتور الأنصاري:

«في بعض الليالي عندما يكون سائر الطلاب مثل الشيخ نجابت، السيد دستغيب، الشيخ دولابي وغيرهم، كان الشيخ يذهب إلى طرف المنزل، وينشغل هؤلاء مع بعضهم بالعبادة في غرفة أخرى، وكنت أنا أحياناً أذهب إليهم. كان الجو كأنه الجنة. كان من الرفاق مشغولاً بالعبادة في ناحية. كان هناك مصباح من نوع الفانوس مضاء في الغرفة، البعض كان يسند رأسه إلى الحائط، وباختصار كان كل منهم مشغول بحاله، ونحن كنا مشغولين بمشاهدتهم...».

طائر الليل المغرّد بشارة أنه في طريق العشق

الحبيب سعيد بآهات ليالي السهر[٣]

---

(١) نقلاً عن أحمد الأنصاري.

(٢) ديوان سعدى.

(٣) تعريب شعر فارسي.

## على حرير الملائك

تروي السيدة فاطمة الأنصاري ابنة الشيخ- قدس سره-: «في إحدى الليالي كان والدي ضيفاً في منزلنا. أنا كنت نائمة، فأحسست أن الغرفة مزدحمة وبدأت الهمهمة، نظرت فرأيت أن زاوية من السقف انفتحت وظهرت السماء، كان هناك عالم من الملك جمعهم يلبسون لباساً أخضر وجميلاً جداً. جاؤوا وذهبوا حول فراش والدي، وكان هناك همهمة كأنهم كانوا يتلون الذكر، وسمعت في تلك الحال صوتاً يقول: لا ينبغي أن يفشى ذلك. تبللت بالعرق فأردت أن أقوم ولكنني لم أستطع. كأنني كنت ملتصقةً بالأرض. طالت هذه الحالة حدود خمس دقائق، ثم قمت وذهبت نحو أبي. هو كان يقوم في الليل مرتين أو ثلاث من أجل تجديد الوضوء. ذهبت وراءه إلى الخارج وقلت له: ماذا كان ذلك؟ ماذا يحدث؟ قال: هس!. وأنا ما دام أبي لم أستطع أن أقول شيئاً، كأنه هو كان قد تصرف!».

أتعرف ماذا كان جواب هذا العارف العاشق لعطر ملائكة العرش الأخّاذ والمسكر؟ لعل ذلك كان نجواه مع إلهه.

أنا الذي قد مللت من نَفَس الملائكة

أحمل قال ومقال عالمٍ من أجلك[1]

---

(١) تعريب شعر فارسي.

## خلوة المجهول

«لو لم يكن حراماً! قلبي كان يحدثني أن أحلق ذقني كي لا يأتي أحد إلي، ويتركونني»[١].

هو الذي كان قد شرب من كأس الحق، وصار قلبه مخزن الأسرار الربوبية وخلوته خالية من الأغيار، كيف يفتح الطريق للغير إلى شراب منزل صدره، ويكشف سره إلى الآخر؟

لدي سر داخل قلبي لو قلته لاحترق لساني

وإن أخفيته أعلم أنه يحرق لب العظام...[٢]

من هذه الجهة كان يحب أن يغير ظاهره كي لا يأتي الآخرون إليه. فهو قد بقي سنوات في خلوته وعوالمه وحده، ولم يكن يزعجه أي غريب؛ لكن اللّه- سبحانه- اراد أن لا يبقى دائماً خلق السحاب، وأن تشرق شمس وجوده على القلوب المستعدة والصدور الملتهبة، كي يصنع الكيمياء:

لديك كيمياء كي تبدله

وإن كان ساقية دم تنيله[٣]

## الكتمان

كان يخفي حالاته بقدر ما يستطيع، ولم يكن يدع أحداً يرد حرمه، يقول الشيخ إسلامية:

---

(١) السيدة فاطمة الأنصاري عن والدها.

(٢) تعريب شعر فارسي.

(٣) تعريب شعر فارسي.

«في ليلة ما كنت أنا وحدي في خدمته، على مقربة من الغروب، وكان الأفق أحمر. كان نظره نحو الأفق، وقال بحالة عجيبة: أين هو؟ بعد ذلك عاد إلى نفسه، وأخفى تلك الحالة».

العرفاء الذين شربوا كأس الحق

عرفوا أسراراً وأخفوها

كل من علّموا أسرار الحق

ترحموا وخاطوا شفاهه[1]

**التنزه عن أهل القيل والقال**

كان كثيراً ما يحب أن يبقى بحاله، ولم يكن من أهل البحث، وكان يبتعد عنه. يقول الشيخ إسلامية:

«في إحدى المرات كان قد جاء عدة أشخاص من طهران إلى خدمة الشيخ - قدس سره - بعدها بدأوا بالبحث، وقال أحد السادة: الآن يأتي الشيخ ونأخذ الجواب منه. جاء الشيخ الأنصاري، وجلس متربعاً في مكانه في حالة السكوت الخاصة به. قال أحد السادة: يا شيخ! كان هذا البحث مطروحاً ونحن كنا نريد أن نسمع جوابه منكم. فقال- قدس سره -: أنا ليس لدي حال للبحث».

هناك بعض الأشخاص عملهم البحث فقط وليسوا من أهل السير. لعله كان يريد أن يعطيهم بسكوته أفضل جواب:

---

(١) مثنوى معنوى، دفتر بنجم، بيت ٤٤١.

سر الغيب ذاك الذي يستحق تعلمه

من هو عن ذكره يستطيع أن يخيط الشفاه

لم يسع البحر إلا فهم الماء

افهم! والله أعلم بالصواب[1]

**المجهولية العرفانية**

عجيب كيف جمع هو في مكان واحد في هذا الجسم الضعيف والبدن النحيف النار والنور والماء والنار!، هو ملتهب وبلا استقرار، وهادئ ووقور. يسير كثيراً، ويبقى كثيراً في خلوة المقبرة بحيث أن بعض طلابه الذين كانوا يبقون وراءه يعلمون بأنفسهم أين يجب أن يجدوه. في هذا العالم من الوحدة والخلوة مع الحبيب ما هو المطلوب لديه والجذاب، وهذه المجهولية العرفانية ما هي الحلاوة التي تحتويها؟! ولكن من الحيف أن يبقى هذا اللؤلؤ دائماً في صدفه. بالله -سبحانه- يريد أن تسري هذه الشرارات من شهاب جذباته إلى قلوب الآخرين، وهو مع كامل العشق الذي لديه للمجهولية؛ لكنه يعلم أنه من الحيف أن لا يكون معشوقه معشوق الآخرين، وغيرته لا تدعه لا يكون محرقاً للغير. إذن مهما كان المدح والتقريظ والمعرفة تؤذيه؛ إلا أنه هنا أيضاً ليس لديه خيار من نفسه، وسلم نفسه للمحبوب.

---

(١) م.ن، دفتر سوم، بيت ٣٣٨٨.

## رضاي رضاك

تعلم هو أنه ليس لديه تدبير من نفسه، وجرب التسليم والرضا كثيراً، منذ زمن الشباب صواعق السلوك، الذم وأذى الآخرين، الوحدة وتحمل ثقل العشق وموت ولده الذي عندما سمع به لم ترف له عين.

يقول- قدس سره-:

«طلبت من اللّه أن لا يعرفني أحد، وأن لا أعرف أحداً، وأن يكون توجهي إلى المبدأ فقط».

لكن إرادة المحبوب مقدمة على إرادته، ويأتي الشيخ نجابت إلى خدمته بوصية السيد القاضي. يقول أحمد الأنصاري:

«سأل الشيخ نجابت المرحوم القاضي: بعدك إلى من أرجع؟ قال: إلى الشيخ الأنصاري الذي تعلم التوحيد من اللّه مباشرة. رجع آية اللّه نجابت إليه وأصر؛ لكنه استنكف، وبعد عدة أيام من إصرار الشيخ نجابت قال: نحن أردنا أن لا يعلم أحد بأحوالنا، ولكن إرادة اللّه كانت كذلك».

وهذه المرة أيضاً سلّم نفسه للتقدير الإلهي، وإن كان يحب المجهولية أكثر! ولكن:

أشرب السمّ بحلاوة فانا شاهد للساقي

أتحمل الألم بحبّ فالعلاج منه[1]

---

(١) تعريب شعر فارسي.

يقول- قدس سره -:

«في هذه الأواخر حيث حصل مقدار من المعرفة، وازاد الذهاب والإياب إلينا، عملنا واجه مشكلاً».[1]

تأتي الحيرة من عشق نطقه

لم تكن الصفراء فهو الذي فعل ما جرى

أن يقفل الشفة صعب هو عن الخير والشر

حتى لا ينبغي أن يقع من الفم الجوهر[2]

ولو كان هو يريد لكان وحيداً

لو كان يريد لما علق بالبحث والجدال.

لو كان يريد لم يعلم حاله أحد

ولو كان يريد لبقي غير معروف.

الكل والجميع هو من أجل أن:

يريد الغرق بالحق ليكون أكثر غرقاً...

---

(١) أحمد الأنصاري.

(٢) مثنوى معنوى، دفتر بنجم، ابيات ٣٢٤٣-٣٢٤١.

## الفصل السادس

# الشريعة والطريقة

**ليس غير وجه الحبيب في مرآتي ومذهبي...**

### ما ينبغي وما لا ينبغي

نعم! الشيخ الأنصاري- قدس سره- مسحور اللّه، مجذوب للّه ومندهش باللّه. لا أحد يعلم أي سير كان لديه في بحر الأحدية، وأي سعادة كانت لديه في عالم الأنوار القدسية وأي عشق كان لديه بين سبحات وجهه!

«يا من أنوار قدسه لأبصار محبيه رائقة، وسبحات وجهه لقلوب عارفيه شائقة...»[1].

لكن آثار هذا الحضور وهذا البقاء في حريم الحرم معلوم ومشهود في أعماله وأحواله ودقته. فالشخص الذي يكون في محضر اللّه، ويرى اللّه ناظراً وشاهداً في جميع أعماله، يضع

(١) مفاتيح الجنان، مناجاة المحبين.

جميع أعشائه وجوارحه في هذا المجال، ولا يرفع يده أو رجله خطأ؛ لأن مسألة الدرك والفهم لدى هؤلاء الناس غير مطروحة، وكثير من الناس لديهم هذا الاعتقاد؛ بل المعتبر عندهم هو الشهود القلبي وإدراك حضور الله.

﴿... أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[١].

### الخطوة الأولى

إذاً العارف لا يهتك حرمة وحريم المحبوب أبداً، وكل لحظة من لحظاته، ونفس من أنفاسه وضربات قلبه منه وله ومن أجله.

«ولا نطق ولا غشاوة ولا نفس إلا بالله ولله ومع الله ومن الله»[٢].

أول وصية له للسالك ولمن يريد برنامجاً عملياً، هي مراعاة حدود الشرع والواجبات. أداء الواجبات وترك المحرمات هما أول خطوة للحركة وبعبارة أخرى أول وآخر خطوة للسالك. وبعدها إذا راعى السالك هذه الأمور واقعاً، تفتح أمامه أبواب المعرفة تدريجاً.

يقول الأستاذ محمود حقيقي عن اهتمام الشيخ الأنصاري الهمداني بمراعاة حدود الشرع:

«في اليوم الأول الذي وصلت فيه إلى خدمة الشيخ الأنصاري،

---

(١) سورة فصلت، الآية ٥٣.

(٢) مصباح الشريع، ص٥٢٠.

وقعت على يديه ورجليه ورجوته وبكيت كثيراً ماذا إفعل كي أصير إنساناً؟ قال بتبسم» عمل بسيط! كل ما قال اللّه افعل فافعل. وكل ما قال اللّه لا تفعل فلا تفعل».

«في أحدى المرات كتب له الشيخ نجابت رسالة يقول فيها: يأتي إلينا شباب أحياناً، البعض يبقى ستة أشهر والبعض سنة، ثم يذهبون، فأي برنامج أعطيهم؟ وكيف يسلكون؟

أجابه الشيخ الأنصاري أن علمهم أحكام الشرع. فإذا ذهبوا انتفعوا في يوم من الأيام، وإن بقوا يكون عوناً لطريقهم».[1]

الشرع كالكيل والميزان اليقين

فبهما يتحرر الخصماء من النزاع والحقد

لو لم يكن الميزان ذاك الخصم في الجدال

متى يتخلص من الوهم والاحتيال[2]

كان - قدس سره - يؤكد كثيراً على عدم المعصية، وكان يتورع بشدة عن المجالس التي يحصل فيها غيبة ومعصية، ولعل هذه القضية هي أحد أسباب نسبة البعض له أموراً خاصة.

ويقول الأستاذ كريم حقيقي:

«إن أصل وأساس سيرة هؤلاء العظماء التربوية، سواء السيد القاضي أو الشيخ الأنصاري كان أن لا تلوث ذيلك بالمعصية.

---

(١) نقلاً عن الشيخ إسلامية.

(٢) مثنوى معنوى، دفتر بنجم، ابيات ١٢١٥- ١٢١٤.

كان مقيداً جداً بالشرعيات. قبل أن نتعرف بهؤلاء العظماء لم نكن نعلم كم يضر مجلس المعصية، كنا نجلس براحة في المجالس، وبعد التعرف عليهم صرنا نتورع عنها، ولم نعد نشارك فيها».

## التخلي عن الله

الذنب والمعصية قشرة سوداء، إذا أحاطت بالقلب لا ينفذ إليه أي نور، أليست المعصية تخلٍ عن الله؟! أليست المعصية عبادة للشيطان؟! أليست المعصية صدأ القلب؟! أليست المعصية سداً لطريق السماء؟! فماذا لا تنزع قلبك ايها الطالب للنور؟! فنزع القلب من الظلمة لا يحتاج إلى كل ذاك التصميم، والقوة.

وكم هي معاملة سيئة، بيع أله الحسنات، البهجات، إليه الجمال والكمال وإله الحسن، ومرافقة الشيطان، فهل نسيت عهدك معه؟!

﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾.[1]

يقول الشيخ إسلامية:

«في إحدى الليالي في إحدى جلساتنا كان هناك شاب قد شارك ظاهراً في الليلة الماضية بمجلس معصية. في تلك الجلسة قال له الشيخ الأنصاري: اقرأ شعر حافظ، لكن خلال القراءة قال: اعط فلاناً ليقرأ. فانقلبت حال ذاك الشاب، ففهم ماذا حصل. بعد

(١) سورة يس، الاية ٦٠.

تلك الجلسة ذهب إلى خدمة الشيخ الأنصاري وشرح له سبب اضطرابه، فقال له الشيخ بلطف: هذه المجالس ليست مكانك».

إذا حصل التقصير والفساد

اختفت تلك الحياة والذوق

إن أحد أسباب انزواء الشيخ الأنصاري، وعدم مشاركته في بعض المجالس والمحافل هو هذا الأمر. يقول أحمد الأنصاري في هذا المجال:

«في إحدى المرات أصررت جداً على سماحته أن أهل همدان وعلماؤها مستاؤون جداً من وضعكم، ويقولون: أنتم اخترتم الانزواء، لماذا لا تزور هؤلاء السادة؟ قال: أنت لا تهتم! بعد مضي عدة أيام كررت هذه المسألة، وفي المرة الثالثة قلت: يا شيخ لا أريد أن أعترض ولكن أريد أن أعرف. بعدها قال والدي المرحوم: أقول ولكن بشرط أن لا تقول لأحد ما دمت حياً. القضية هي أنني لا أذكر أنني شاركت بجلسة مع هؤلاء السادة ولم يغتابوا شخصاً ثالثاً. وبما أنني أعلم أن هذه الجلسات كذلك، فإن الذهاب حرام علي. بعد ذلك أخبرت أحد السادة المراجع، فقال: أقسم بجدي ما قاله صحيح. فهو كان مقيداً ودقيقاً جداً، ومجرد أن يريد أحد في مجلسه أن يستغيب، أو أن يكذب، كان يأمره بالسكوت ويقول: إلى هذا الحد يكفي، لا تقل أكثر من هذا».

﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ...﴾[1].

---

(١) سورة الحجرات، الآية ١٢.

### أهمية العلم

العلم إذا نزل على القلب كان معيناً

العلم عندما إذا نزل على الجسم كان حملاً

كلما كانت خطواتك أكثر شجاعة كان هدفك أكثر عظمة، كلما كان هدفك أعظم كان حملك أثقل. والعلم حمل ثقيل إن اكتسب بنية خالصة زاد فهم وشعور وبصيرة الإنسان، وصانه من الانزلاق والأخطار.

العلم بحر لا حد له ولا ساحل

طالب العلم غواص البحار

لو كان عمره آلاف السنين

ما انتهى سيره من البحث[1]

### شمع الطريق

كلما كان المرء أعلم، كان أكثر فهماً، وكلما كان أكثر فهماً، كان ذا معرفة، وكلما كان أكثر معرة كان أكثر بصيرة، وكلما كان أكثر بصيرة، كان أكثر رؤية للّه. وهنيئاً لمن جعل العلم والعشق في مكان واحد في مخزن القلب، فهو نور الطريق.

روح الشرع وروح التقوى هو العارف

---

(١) مثنوی‌معنوی، دفتر ششم، ابیات٣٨٨٢- ٣٨٨١.

المعرفة هي حاصل الزهد السالف

الزهد هو في الزراعة والجهد

المعرفة هي تنمية ذاك الزرع[1]

والأنصاري الهمداني هو عاشق بعد مقام العلم. وإن كان عشقه قد أحرق المقام والمكانة؛ ولكنه لم يسلب حريم العلم المقدس الحرمة، بل دفعه إلى أن يجعل العلم والفقاهة توأمين لنور المعرفة والحقيقة، وارتفع إلى القمة بهذين الجناحين حتى نال منزلاً بين الملوك السماويين يقول أحمد الأنصاري:

«كان يحترم أهل العلم كثيراً، ويشجع الأصحاب ويكلفهم بكسب العلم، وكان غالب طلابه من أهل العلم. كان يقول: العلماء قلما يخطؤون، وقلما يخدعون، هؤلاء يمكن إرشادهم وهدايتهم بشكل أفضل؛ لأن الشرع موجود عندهم. في أحد الأيام ترك أحد السادة الدرس، ولكنه انزعج كثيراً وكان لديه تصميم على الاستمرار وكان متقيداً بشكل عجيب».

مهما كان يجتمع في مجالسه ومحافله من جميع أصناف الناس المتعلمين وغير المتعلمين، والطلاب التجار، كلهم كانوا مجتهدين.

ينقل أحمد الأنصاري أن الشيخ الأنصاري كان يقول:

«كل ما هو موجود هو في الشرع المقدس. جميع مراحل

---

(١) م.ن، دفتر ششم، ابيات ٢٠٩١- ٢٠٩٠.

العرفان والسير والسلوك حتى المرحلة النهائية التي هي الفناء في اللّه جاء في كلام الأئمة المعصومين في الأخبار والأحاديث وموجود في كلام اللّه».

هو في زمان الشباب كان يدرس دروس الحوزة، ولكن كان يرجع بعض الأصدقاء إلى تلامذته الآخرين،يقول أحمد الأنصاري:

«علموا هؤلاء الشرع كي لا يكو لديهم إشكال. وكان يعطي أهمية لهذه المسألة، ويؤكد على أن بدء الحركة من الشرع، وإن كان لديكم إشكال في عملكم هذا وكنتم جاهلين فلن تصلوا إلى أي مكان!».

**الحقوق الشرعية**

إن الحقوق الشرعية هي من الأمور المؤكدة في الدين، وكانت من أوامر ووصايا الشيخ الأنصاري، فإن كان لدى أحد مشكلة في حسابه لم يكن يعطيه برنامج عمل آخر. يقول أحمد الأنصاري:

«في أحد الأيام أتى إليه شخص وأصر كثيراً على أن يعطيه برنامج عمل، فلم يعتن به. جاء في اليوم الثاني فلم يعتن به أيضاً. في اليوم الثالث جاء وأصر مجدداً، فقال الشيخ الأنصاري: في رقبتك مبلغ يجب عليك دفعه، اذهب أولاً وصحح ذلك ثم اسع للحصول على برنامج. انخطف لون ذاك الشخص وذهب...».

وهو أيضاً كان محتاطاً جداً في هذه القضية، مع أنه كان لديه إجازة في قبض الحقوق الشرعية،ولكنه لم يكن يفعل هذا العمل، وكان دقيقاً جدا صفي هذه المسألة، ويؤكد عليها.

يقول أحمد الأنصاري في هذا المجال:

«كان أحد الذين لديهم محبة شديدة للشيخ الأنصاري المرحوم آية اللّه الخوانساري الذي كان من مراجع التقليد، وعندما كان يأتي أحياناً إلى همدان يأتي إلى خدمة الشيخ. في إحدى المرات التي كنت ملازماً فيها لوالدي رأيت أنه يصر على أن يعطيه برنامج عمل، وكان الشيخ الأنصاري يقول بتواضع: أنتم يجب أن تعطوني برنامج عمل. قال السيد الخوانساري: يا شيخ اترك الرسميات أريد أن أكون إنساناً، ماذا أفعل؟ فقال له أبي: مشكلتك ليست الصلاة والصوم وهذه المسائل، الحقوق التي تأخذها، اعمل على إيصالها إلى أهلها. قال السيد الخوانساري: لا أعرف. سمى أبي أولئك الأشخاص وقال: لا تبلِ نفسك قليلاً قليلاً. وبعد ذلك لم يعد يأخذ الحقوق الشرعية»[١].

## أثر اللقمة

لم يكن الشيخ الأنصاري يستفيد من سهم الإمام من أجل طعامه وطعام عائلته بأي وجه، ولم تكن معيشته م هذه الحقوق. وكان ـ قدس سره ـ إذا ذهب إلى مكان ما لم يكن مطمئناً من مال صاحبه، إمّا لم يكن يأكل شيئاً، أو يضع المال جانباً؛ لأنه كان يعتقد بشدة بتأثير لقمة الحرام أو المشتبهة على روح السالك، وكان يعطيها أهمية كثيرة. يقول علي الأنصاري:

---

(١) جرى ذلك مع آية اللّه الميلاني ايضاً.

«ينقل السيد حكمت أن الشيخ الأنصاري ذهب مرة إلى بستان عنب مع الملا آقاجانالزنجاني الذي كان ملازماً مدة للشيخ الأنصاري. قال المرحوم الملا آقاجان: هذا البستان هو لأحد أصدقائنا، تناول من أعنابه؛ لكن الشيخ الأنصاري استنكف ولم يأكل. فقال السيد حكمت أنا تعجبت لماذا لم يأكل الشيخ الأنصاري؟! وسألته عن ذلك، وفيما بعد عندما حققت علمت أن البستان كان لشخص آخر».

لقد كان حتى في ذهابه وإيابه دقيقاً جداً، وكان يحترز بشدة عن الذهاب والإياب مع الأشخاص الذين لم يكن راضياً عن أموالهم. يقول علي الأنصاري:

«في إحدى المرات وعلى أثر المحذور العائلي وإصرار أحد الأقارب الذي كان يعمل في المحكمة، قبل دعوته من أجل عدم حدوث نفور؛ ولكن فيما بعد وضع رد مظالم الطعام الذي أكله جانباً، وكان مع ذلك مستاءً وحزيناً جداً».

إن أخليت أنت هذا الكيس من الخبز

تملؤه من جواهر الإجلال

افطم طفل الروح عن لبن الشيطان

بعد ذلك اجعله رفيقاً للمَلَك[1]

---

(١) مثنوى معنوى، دفتر اول، ابيات ١٦٤٠-١٦٣٩.

**الدراويش والصوفية**

كان الشيخ الأنصاري يتهم من بعض قصار النظر بالتصوف والدروشة بسبب أحوال العشق والعرفان التي كانت لديه وبسبب العزلة عن مجالس المعصية وبعض الأشخاص. لكن طريقته كانت واضحة وذات دليل، حركة في طريق الشريعة، وكان سيره وسلوكه كاملاً في هذا المشرب والمجرى. طبعاً نفس الشيخ الأنصاري لا يؤيد رياضاته في زمن شبابه، وكان يقول:

«الطريق كان أسهل من الذي سرت به».

يقول السيد مهدي دستغيب:

«الشيخ الأنصاري كان يعتقد بالقيود الشرعية إلى حد أنه لم يكن يستفيد من المصطلحات التي يستعملها الدراويش، والكلمات التي كان يستعملها كانت في حدود الشرع وموافقة لرأي الفقهاء والمجتهدين. في إحدى المرات جاء أحد الدراويش. كان الدرويش جميل الوجه ويلبس قبعة الدراويش ومعه كشكول. بعد أن ذهب قلت: كان شخصاً جيداً. ضحك وقال: من أين فهمت؟ قلت: الآن من ظاهره هذا الكلام. قال الشيخ:

طريق اللّه ليس فيه هذه القيود والخشبات

طبعاً تطرح هنا مسألة مهمة، وهي أن التعاريف قد تختلط أحياناً، ويظلم اللّه وعلي- عليه السلام - إلى حد أنه إذا قال أحد علي، علي، وحق، حق، يطلقون عليه اسم الدرويش والصوفي. في

حال أن الحدود ليست في هذه. فهل لدينا في المعارف الدينية الشيعية القليل من الحديث والرواية عن كلمات وأحوال أهل المعرفة؟!

يقول آية اللّه السيد محسن الحكيم في توضيحاته على العروة الوثقى:

«أولئك الذين هم من أهل المعرفة ويدعون الإدراك والشهود، منهم أشخاص نحن نعرفهم وهم من الكبار ولا نستطيع أن نقول إنهم مخطئون ولعلنا نحن لا ندرك».

يتابع السيد مهدي دستغيب:

«كان هناك سيد يزور الشيخ الأنصاري أحياناً، في إحدى المرات مدح أحد المرشدين في طهران، فقال المرحوم الشيخ الأنصاري: جيد لماذا تقول مرشد ودرويش؟ قال: هو يقول يا علي يا علي. قال: إن كان يقول هذا فنحن أيضاً نقول يا علي».

الغزلان سكرى بولائك يا علي

روح العالم فداك يا علي

يعني أنها ليست ملاك التصوف، بل أساليبهم الخارجة عن طريق الشرع، وهي لم تكن مقبولة لدى الشيخ الأنصاري. يقول الشيخ إسلامية:

«في إحدى المرات كنا نجلس مع الشيخ الأنصاري على عربة ونتحدث. قال الشيخ الأنصاري: أنا بقيت مدة في أيام الشباب

أسعى وراء العلوم الغريبة وتسخير الجن وهذه المسائل؛ لكن هذه كلها كانت ظلمات، وتجلب الظلمة، وبما أنني كنت أسعى نحو شيء أعلى، هداني اللّه ووضع الصراط المستقيم أمامي».

مرحى بك أيها اللّه

فجأة أخرجتني من الغم

لو كان تحت كل شعرة مني لسان

لم يسع البيان شكرك(١)

يقول أحمد الأنصاري في هذا المجال عن كون طريقة المرحوم الأنصاري كانت كاملاً في حدود الشريعة:

«بالنسبة إلى المرحوم السيد البروجردي وارتباطه مع أبي لدي قصة تستحق السماع. عندما كنت في همدان وكان عملي التعليم، في أحد الأيام كانت الساعة الثامنة أو التاسعة صباحاً عندما ضرب الباب، فرأيت شخصين من العلماء، سألوا: هل الشيخ في المنزل؟ قلت: نعم، فدخلوا. أعلمت والدي أن لديه ضيوف، قال: من هم؟ قلت: لا أعلم، عن غرباء. باختصار تهيأ ونزل؛ ولكن بمجرد وقوع عينيه على هذين الشخصين، اضطرب بشدة.

أنا تعجبت من تصرف أبي؛ ولكنني لم أقل شيئاً، وانشغلت بالاستقبال والضيافة. بعد ذل قالا: نحن أتينا لنرجوك كي تتفضل

---

(١) مثنوی‌معنوی، دفتر بنجم، ابيات٢٣١٥-٢٣١٤.

علينا ببرنامج. أبي لم يجب، فأصرا مرة ثانية وثالثة؛ فالتفت إليهما فجأة وقال: سلما على السيد البروجردي وقولا له عني طريقنا طريق الشرع، ونحن لا نحتاج إلى امتحان.

قال ذلك وصعد، ذانك الشيخان تغير لونهما، وذهبا بحزن وخجل. بعد مدة وصلت رسالة من السيد البروجردي إلى أبي كتب فيها: إن حصل إساءة أدب فأطلب العذر، نحن أيضاً لم نكن نعرفك. فيما بعد دعاه إلى قم، وبعد مدة ذهب أبي مع بعض المعارف إلى خدمته. وبعدها أعطى هو الشيخ الأنصاري إجازة الاجتهاد، واعتذر مرة ثانية، وقال: أفهمونا كذلك، نحن لم نكن مخطئين!».

رأي الشيخ الأنصاري في المشارب المختلفة التي يطلق عليها اسم الإسلام هو أنه إن لم يكن مطابقاً للشرع فهو غير موصل إلى المطلوب، وكثير من هؤلاء ليسوا عرفاء، بل هم دراويش وصوفيون، ويقول عن الأحوال والتصرفات وخوارق العادات، كما يقول أحمد الأنصاري:

«هؤلاء يحصلون على بعض الأمور على أثر السعي والجهد، حتى أنهم يتصرفون في وجود بعض الأشخاص. ولكنها سريعة الزوال ولا تبقى عندهم أكثر من حافة القبر. لا تخدعوا بهذا الكلام، ولا تتعلقوا بهم».

التهذيب والتصفية والسير والسلوك ما دام في حدود السيرة النبوية يكون مقصداً أعلى وطريقة العرفاء، وسواهم لا طريق لهم إلى غاية المراد. يقول أحمد الأنصاري:

«كان الشيخ الأنصاري يقيم جلسات مع بعض أعضاء فرقة الكنابادي، وكان يتحدث معهم كثيراً، ويدعوهم إلى مراعاة حدود الشرع، وقد تاب عدد منهم على أثر كلام الشيخ».

باختصار إن أمثال الملاحسينقلي، الكمباني، القاضي، والأنصاري كانوا عرفاء.

إن تكلموا عن الطريقة، فهي بطن شرعتهم.

وإن تكلموا عن الحقيقة فهو إدراك لشيعتهم

لكن

لن يجد الحال المستوية الشخص الخام

إذاً يجب أن يكون الكلام خامداً والسلام.

## الفصل السابع

# عين البصيرة، قلب بصير

**الناس رأوا نحن لا خبر لدينا ما في لباس الناظر ...**

### عين القلب

إن وجد العالم في نظره مائة

لأنه يجعل عينك ناظرة به

للّه عباد طهروا قلوبهم من السواد والصدأ، ويحفظون ويصونون أعضاءهم وجوارحهم من المعصية، ويصفون قلوبهم بنحو تصير مرآة مظهرة لكامل الصفات الإلهية، وقدموا القلب كله للرب. أولئك الذين تجاوزوا المنازل والمراحل بالمراقبة والمجاهدة، وهاجروا من منزل القلب إلى كعبة اللّه، وصاروا مصداق الآية الشريفة:

﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ...﴾[1].

---

(١) سورة النساء، الآية ١٠٠.

والله لديه تحف وهدايا لهؤلاء العباد، لا يسع وصفها ألسنتنا نحن العمي والسُقم. في الحديث:

«لكل امرئ في وجهه عينان يبصر بهما أمر الدنيا، وفي قلبه عينان يبصر بهما أمر الآخرة، فإذا أراد الله بعبد خيرا فتح عينيه التين في قلبه...»[١].

نعم يفتح الله تعالى عيون قلبهم ويرون ما لا يراه الناس، ويسمعون ما يسمعه الآخرون، ومن خلال سيرهم في عالم الآفاق والأنفس يفتح أبواباً على قلوبهم، فينظرون إلى حقائق العالم. تزول الحجب الظلمانية عن قلوبهم، وتندهش عيون قلوبهم في مشاهدو العظمة والجلال الإلهيين.

«فإذا أحبني أحببته وحببته إلى خلقي وأفتح عين قلبه إلى عظمتي وجلالي»[٢].

وعندها:

إن من صار واقفاً على أسرار هو

سر المخلوقات ما كان عنده

نعم! إن من يصل إلى مقام يسير وينظر في آيات وأسماء وصفات الحق، تزول حجب الملك والملكوت من أمامه، ويصل إلى عالم الأسرار، وتصير معرفة أحوال المخلوقات وعباد الله

---

(١) رسالة لقاء الله، ٢٢.

(٢) م.س،ص٤١.

ومعرفة ضميرهم وأفكارهم بالنسبة إليه سهلة وبسيطة، كما روي عن اللّه سبحانه:

«فلا أخفي عليه علم خاصة خلقي...»[١].

هذه البصيرة والإحاطة بباطن الإنس ليست بمعنى أن العارف يريد أن ينفذ إلى حرم قلب الإنسان، أن أن يكون له حظ من هذا العمل؛ بل يجب أحياناً أن ينقر على قلب الإنسان، وهو نوع من هداية وإرشاد رجال اللّه. وكم هم مساكين أولئك الأشخاص الذين يسعون للعلوم والرياضات للحصول على هذه القدرات من أجل هوى النفس والجاه والشعور بأنه «أنا الأعلى».

بين قمري والقمر الدوار

كالمسافة من الأرض إلى السماء

وهناك فرق بين أن يكون المقصد وغاية الآمال تسخير قلوب الآخرين، وأن يكون هدفه اللّه وأن يعطى في هذا الطريق البصيرة. فلا يسعى لجذب القلوب أبداً، ولا يستعمل ذلك بلا فائدة أبداً، ولا يهتك الحرمة أبداً.

نعم!

كل شخص ذهب إلى الصحراء من أجل منظر

ولكن:

---

(١) م.ن.

نحن الذي أنت منظورنا لم نذهب إلى إي مكان...

والآن نشير إلى بعض النماذج من بصيرة عين قلب وقلب آية اللّه محمد جواد الأنصاري، عسى أن تزيد في بصر قلبنا.

**نور الوضوء**

يقول علي محمود حقيقي:

«في إحدى المرات جاء أحد الأشخاص الذي أدرك مدة من الزمن محضر أحد العلماء الكبار إلى زيارة الشيخ الأنصاري وقال: يا شيخ أنا واصل وأرى نور اللّه معي. قال: قل لي ما هي خصوصيات هذا النور. فذكر له ذلك. فقال الشيخ: إن هذه وإن كانت كلها أنوار اللّه؛ لكن هذا النور ليس نور اللّه، بل هو نور وضوئك الذي يظهر للمرء في بداية الطريق».

ويقول علي حقيقي:

«الباطن بالنسبة إليه ظاهر. كان يقول: كل شيء له نور، فإن كان نوره في ذلك الشخص فله حقيقة وإلا فهو مدعٍ. العلم والمرجعية والعبادة ونحوها كلها لها نورها الخاص».

في تعامل الشيخ الأنصاري مع المستمعين لم يكن توجهه مع ظواهر الأشخاص فقط؛ بل كان أسلوبه على أساس أن يفهم الشخص ما يريد من خلال تصرفه.

**الباطن والحال**

نحن ننظر إلى الباطن والحال...

يقول الدكتور علي الأنصاري في هذا المجال:

«المرحوم والدي كان يقوم بأعمال إدراكها بالنسبة إلينا كان صعباً، ولم نستطع أن نفهمها؛ ولكن عندما كنا نفهم حقيقة الأمر كنا نلتفت إلى سبب تصرفه، وأحياناً لم نكن نفهم وما زلنا.

في إحدى المرات جاء أحد العلماء لزيارة الشيخ يرافقه عدة أشخاص، فلم يلتفت إليه الشيخ كثيراً، حتى أن الأشخاص المرافقين للعالم انزعجوا من تصرف الشيخ، وعند الوداع رافقهم إلى وسط الغرفة ولم يصل إلى أمام الباب. بعد عدة أيام جاء شخص إلى زيارة الشيخ ولم يكن ظاهره وموقعه الاجتماعي له صفة دينية؛ لكن الشيخ قبّله وتودّد إليه كثيراً، ورافقه من أجل مشايعته إلى أمام الباب، ونحن حقيقة لم نفه سبب هذين التصرفين حتى توفي بعد مدة. ومع أنه في ذلك الوقت كانت العلاقات إيران والعراق سيئة لكن الأمور سارت بنحو رافق جنازته خمسون شخصاً، وحملوه إلى العتبات المقدسة للدفن. وعلى العكس علمنا أن ذاك العالم توفي بوضع غير جيد».

يقول الإمام الخميني في كتاب «الأربعون حديثاً»:

قولوا للنفس والشيطان: من الممكن أن يكون ذاك لدى الشخص المبتلى بالمعصية ملكة أو أعمال أخرى، قد يشمله اللّه تعالى برحمته، ويهديه نور ذاك الخلق والملحة، وينتهي أمره إلى حسن العاقبة. ولعله بسبب بك سوء ظنك ينتهي أمرك إلى سوء العاقبة. على كل حال النفس والشيطان يدخلانك المرحلة الأولى من العجب، وتدريجياً يأخذانك من هذه المرحلة إلى

مرحلة أخرى، ومن هذه الدرجة إلى درجة أكبر، حتى يصل أمر المرء بالنهاية إلى مكان يمن بإيمانه أو أعماله على ولي نعمته ومالك الملوك، ويصل أمره إلى آخر درجة».[١]

ما دام الهوى جديداً فالإيمان جديد

فهذا الهوى ليس إلا قفلاً لذاك الباب

وكم هم مساكين أولئك المتظاهرون والمتقدّسون الذين يصيرون بجهلهم وإعجابهم بأنفسهم حطب جهنم، وهنيئاً للصادقين في أي صورة ولباس!

﴿يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾[٢].

كما ينقل علي محمود حقيقي عن تلميذه آية الله نجابت:

«في إحدى المرات زاره شخص متمدن جداً ويلبس لباساً أوروبياً ومعه سيارة من الطرز الأكثر حداثة، فرجع فجأة وأدار وجهه، فتقدم الشيخ وعانقه وقبله ثم قال فيما بعد: محبة أمير المؤمنين- عليه السلام - في قلبه. وكان يجيء إليه أحياناً شخص بالظاهر مقدس جداً، فلم يترك الشيخ المكان، أو يخرج من باب الغرفة. فيما بعد سأله أحدهم: لماذا تستقبل البعض، والبعض الآخر وهو لم يدخل بعد تتصرف معه بحدّة؟ قال: البعض لم يدخل بعد وهو يرمي بالحجارة، نحن نقول شيئاً كي لا يرمي بالحجارة!».

---

(١) جهل حديث، إمام خميني، حديث سوم، ص٦٧.

(٢) سورة المائدة، الآية ١١٩.

**أدب الباطن**

عند أهل القلب الأدب في الباطن

وهذا الشيء ليس إلا من آثار الأعمال التي تتجلى في روح الإنسان.

يرسمون للفعل صورة في الغيب

وأولئك العارفون بحجب من عالم الغيب، هم مطلعون على حقائق الأعمال، و كانوا يستغفرون للذين هم أكثر ارتباطاً بهم قبل الذهاب إلى محضره، ويطلبون الستر.

«اللهم! أخف عنم ما يكون نشره على عاراً»[١].

كل من كان أسد الأسرار وأميراً

هو يعلم كل ما يفكر الضمير

احفظ يا أيها القلب المفكر

القلب من الفكر السيء أمامه[٢]

كان ذاك الشخص العظيم لديه بصيرة بكثير من الحوادث ويعرف خفايا القضايا.

**سبب الحوادث المؤلمة**

يقول الدكتور علي الأنصاري:

---

(١) الصحيفة السجادية، الدعاء ٤١.

(٢) مثنوىمعنوى، دفتر أول، ابيات ٢٨-٣٠.

«كان عمري صغيراً؛ ولكنني أذكر أنه قد حدثت في المنزل الذي كنا نسكن فيه عدة حوادث مؤلمة.إحداها وقوع أخي عن السطح وموته. وبعد مدة توفيت والدتي، وبعدها حدثت عدة حوادث عجيبة جداً. كانت جدتي تقول: في أحد الأيام بعد الظهر، كان الشيخ في حالة بين النوم واليقظة فقفز فزعاً، وذهب إلى قرب بئر البالوعة، وأمر أن يحفر في ذلك المكان. بعد ذلك أخرجوا من الأرض لوحاً ثقيلاً له ستة زوايا وكتب على أطرافه: لا إله إلا اللّه محمد رسول اللّه، علي ولي اللّه. ثم قال: هذه الحوادث التي حدثت هنا كانت بسبب هذا. لقد دفن هذا الحجر في مكان سيء. ثم أخذ هذا الحجر إلى قبر أحد أولاد الحسين في همدان، وتغير وضع المنزل».

**دفع الخطر عن أحمد**

أخبرنا السيد أفراسيابي صهر الشيخ وتلميذه:

«في إحدى المرات كنا نسير نحن والشيخ ونتكلم، ومنا في عالم عجيب وغريب. فجأة رأيت الشيخ قد تغير. أنا توقفت فجأة فأي خطأٍ قد صدر مني حتى يتغير حاله؟! طال الأمر عدة دقائق ثم عاد كعادته وقال: الحمد للّه زال الخطر عن أحمد. فيما بعد فهمت أنه في تلك اللحظة كان أحمد ابنه قد حصل معه حادث اصطدام إلا أن الخطر رفع عنه».

أنا قلبي لديه خمس حواس أخرى

حس القلب يرى كلا العالمين

**عين البحر**

انظر بعين البحر

كذلك كانت قصيرة بعض التلامذة بنحو يتعرفون على حال بعض الأشخاص دون رؤيتهم عن قرب.

ينقل الأستاذ كريم حقيقي:

«في إحدى المرات كان الشيخ نجابت ضيفنا، وبمجرد أن فرشنا السفرة بدأ بالنظر إلى الأرز بشكل عجيب، فسألت: يا شيخ لماذا لا تأكل؟ قال: أنا أتعجب من حال الشخص الذي طبخ هذا الأرز، فقد كان لديه حالة عجيبة. من طبخه؟ قلت: أمي. ثم ذهبت وسألت أمي كيف طبخت الطعام؟ قالت: من البداية أصابتني حالة فكنت أبكي دائماً حتى انتهيت من عملي».

غير النطق وغير الإيماء والسجل

مئات الآلاف من المترجمين تخرج من القلب

ويقول الأستاذ محمود حقيقي:

«في إحدى المرات ذهبنا مع الشيخ نجابت إلى مكان، وبمجرد أن دخل قال: منزل من هذا؟ كأنه مسجد، كأنه الكعبة من العبادة. قلت: هو بيت امرأة في التسعين، مشغولة بالعبادة دائماً».

نعم!

النور نور عينك نور قلبك

نور العين يحصل من نور القلوب

النور نور القلب أيضاً نور اللّه

الذي هو طاهر من اللون والعقل والحس ومختلف[1]

الشيخ نجابت الذي كان أخص تلامذة الشيخ - قدس سره -، وكان له تلامذة أيضاً في حوزة شيراز، كان أحياناً يرسل صور المراجعين إلى الشيخ الأنصاري من أجل معرفة قابلياتهم واحتراماً ومن أجل أخذ الإذن لقبول التلامذة، وكان الشيخ يعطي رأيه من خلال رؤية الصور.

عين الحس مثل كف اليد فقط

ليست الكف تصل إليه كله

عين البحر شيء آخر والكف شيء آخر

دع الكف وانظر بعين البحر[2]

أينما نظرت من الصباح إلى المساء أنت...

وسر هذا كله هو في الحقيقة كف على بحر العارف الوجودي ليس إلا عبارة واحدة حيث يقول:

«المؤمن ينظر بعين اللّه».

إلهي إن هذا الذي قلناه كان غباراً من زقاق ذاك الشخص

---

(١) مثنوى معنوى، دفتر اول، ابيات ١١٢٧-١١٢٦.

(٢) م.ن، دفتر سوم، ابيات ١٢٧١-١٢٧٠.

الكبير، وإلا فإن هذه البصيرة هي ليست بشيء وقليلة في مقابل العين التي أخذت بصرها من نور وجهك.

ومن كنت أنت في نظره وأنت في قلبه فما حاجته لرؤية الآخرين أو عدم رؤيتهم. فكل هذا لا يرمي بالطمع لرجال الله، فهم مفتونون بجمالك الفتان، وهم مجذوبون لتجل أكثر فتنة.

«إلهي! وأنر أبصار قلوبنا بضياء نظرها إليك...»[1].

من رأى وجهك أنا أتعجب منه

أنه في عمره كله كان سر النظر...

(١) مفاتيح الجنان، المناجاة الشعبانية.

## الفصل الثامن

# السيرة التربوية

### ليبق مضيئاً ضوء صاعقة ذاك السحاب...

#### مذهب الافتتان

﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ...﴾[1].

والنور الذي أشرق على مرآة قلبه يجب أن يشع من قلبه على المرايا الأخر. نعم الآن يجب عليه أن يأخذ بيدها مثلما كان هو في زمان عشقه تائهاً. والآن كل نسيج وجوده مقترن مع الحبيب، وهو ينشد هذا النشيد:

منسوج ذكرك في نسيج وجودي

فائضاً كان من لطفك وجودي

أنت فعلت وجودي من العدم وباللطف ربيتني

فداء لاسمك وجودي وعدمي

---

(١) سورة النور، الآية ٣٥.

## نداء الخلاص

لم يصل أحد ليخلصنا

كان في الغالب يمضي الوقت بالسكوت وبالذكر الخفي والمعاملات الخفية، ومشغولاً مع ربه. مجهول وكان حوله أشخاص قليلون، حتى جاء إلى خدمته الشيخ نجابت، وتعرف عليه تدريجياً أشخاص آخرون. ازدادت مراودته وصارت جلساته أكثر انسجاماً. وبهذا النحو صار هو شمع المحفل، وذلك في حدود عام ١٣٣٩. وكما في حديث المعراج أن الله يعطيه محبة لا تتقدم عليها محبة أي مخلوق، فإذا أحبني أحببته وجعلته محبوباً لخلقي[١].

نعم وهذه المحبة إلهية تجذب الجميع إليها، وكل من كانوا يذهبون إلى مجلسه لم تعد قلوبهم تستطيع بعدها أن تنقطع عنه.

فلتحيا ذكرى حديث الليالي مع ذوي الشفاه اللذيذة

كان البحث عن سر العشق وذكر حلقة العشاق

حسن لطفاء المجلس وإن كان يسلب القلب والدين

كان بحثنا عن لطف الطبع وحسن الأخلاق

وسيرته في جذب الطلاب كانت العشق والمحبة ولطف الأخلاق، كما يقول أية الله السيد مهدي دستغيب:

«أنا كنت مفتوناً بأخلاقه».

---

(١) رسالة لقاء الله، حديث المعراج.

فهو كان من أهل المحبة وكان طريقه كذلك، يقول الأستاذ أحمد حقيقي:

«طريقه كان طريق الحب والعشق، عيونه كانت تشتعل من المحبة بنحو لا يستطيع المرء أن ينظر إليه».

**أسير المحبة**

ينقل الشيخ إسلامية هذه الحادثة عنه فيقول:

«أنا كنت أحب شاباً وكنت أحب أن آتي لخدمة الشيخ الأنصاري ولكن هو لم يكن أبداً في هذه البساتين. في أحدى المرات أعطيته ظرفاً وقلت له: خذه إلى الشيخ الأنصاري. ظن هو أنني أريد أن أستخير، وذهب إلى منزله. المرحوم الشيخ نظر إليه نظرة وأدخله إلى الداخل، وتودد إليه كثيراً. ثم خرجا معاً وسارا مسافة. بعد أن أتى الشاب مرة ثانية إلى رأيت أنه ليس بحالته العادية، مع أنه يكن لديه أي سابقة في هذا المسير، ولعله لم تكن مسائله أيضاً دقيقة من ناحية الأحكام؛ ولكنه صار أسير محبة الشيخ الأنصاري، والشيخ نفسه طلب مني أن أحضره إلى الجلسات، وهكذا وجد طريقه إلى الحلقة.

الناس ينجذبون إلى المحبة، وهذا يؤدي في الدرجة الأولى إلى أن يتركوا الذنب والمعصية، ثم يعطون أمراً بالتقيد بالواجبات والأحكام. كان يربي الأفراد بنحو يقومون بأعمالهم بشوق لا بكسلٍ، وهذا الشوق والمحبة يحملهم إلى الأمام، وكان مؤثراً وفعالاً بالأخص عند طبقة الشباب».

كتبت العين بشوق كم نثرت من قطرات

من كأس الخمر باعت كم اشتريت من دلال

**الصدق**

هذه كان سيرته العامة في الجذب، وكان حضنه مفتوحاً لأولئك الذين كانوا أصفياء وبدون غل وغش وكان لديهم طلب معنوي. وهو لم يكن يوصي فقط بالأعمال الصالحة، بل كان يدقق جداً على النوايا ويقول:

«يجب أن تصلحوا نواياكم أيضا».

يقول الحاج أحمد الأنصاري:

«لم يكن أبي يرى نفسه صاحب خيار في أي شيء، وكان يقول: حياتي وقف لأحبّائي. كل من كان يأتي كان يأخذه بالأحضان؛ ولكن أحياناً كان يلتفت إلى أن بعض الأفراد كانوا يأتون إليه بأغراض أخرى، فلم يكن يجيب. في بعض الأحيان جاء إليه أشخاص لديهم نوايا خاصة ويسعون إلى قدرات أخرى، فقال لهم أبي: لا تفعلوا هذه الأعمال! أنتم تضيعون وقتكم ووقتي! وهم فيما بعد تركوا الجلسة ولم يأتوا بعد ذلك.

ولكن كان يأتي أشخاص بخلوص نية، فكان مضيفاً جيداً لهم، وكان يوجه الأصدقاء بحلم وصبر وثبات، يذكرهم بموانع تقدمهم، وينتبه إليهم واحداً واحداً. كان يسير الأشخاص بشكل متناسب مع روحيتهم وقدرتهم، ويعطي لكل واحد وصفته الخاصة، وكان قد جمع الأشخاص المختلفين بمستويات مختلفة

في مكان واحد، ولم تكن برامج العمل متشابهة؛ فقد كان يعطي الأشخاص الذين عبروا مراحل برامجهم الخاصة. مثلاً كان يعطي بعضهم برامج ذكر، والبعض برامج للمجاهدة، وللبعض التفكر أو أعمال عبادية خاصة بهم؛ ولكن ما كان عاماً وبلاء أكثر الأشخاص وكان يذكر به هو مراعاة الواجبات والحلال والحرام والأخلاقيات».

**اللطائف الخفية**

تعال لنحصل على يد من القلب

فلن يستطاع الحصول غداً من الوحل

يقول الحاج أحمد الأنصاري:

«في إحدى المرات جاء أحد المعارف لخدمة الشيخ الأنصاري من طهران، وأصر على أخذ برنامج عمل. قال الشيخ: أنت تسيء المعاملة مع زوجتك، اذهب! أصلح أخلاقك! هذا هو حجابك.

ذاك الشخص كان يقول: عندما رجعت قالت لي زوجتي يغضب: مرة أخرى سافرت؟! انحنيت وقبلت يدها، تعجبت وسألت: من علمك هذا العمل؟ قلت: هذا الشخص الذي تقولين: لماذا ذهبت إليه؟ وهو صار محباً للشيخ الأنصاري، وفي السفر التالي جاءا معاً إلى همدان إلى خدمة الشيخ.

وفي أحد الأيام جاء بائع إلى خدمة الشيخ وقال: حدثت في نفسي ظلمة، ولا أستطيع أن أصلي صلاتي بتوجه. قال: لأنك في المعاملة الفلانية كذبت! اذهب استغفر وعوض!.

يقول الأستاذ محمود الحقيقي:

«في أحد المرات أذكر أن شخصاً اشتكى إليه: أنتم لا تذكروننا، فأجاب الشيخ: أتذكر في اليوم الفلاني هجموا عليك بالسكين، وخرجت سالماً؟ كنا هناك ومنعنا من إصابتك بالسكين ودخولها في صدرك».

الطلاب كانوا يعلمون أنه بالتأدب في مقابله يستفيدون، وأن عدم الاستماع فيه تكاليف. ينقل الشيخ إسلامية ذكرى يقول فيها:

«في إحدى المرات كنا في خدمة الشيخ الأنصاري، ومع أنه كان لديه ساعة سأل السيد فاطمي: كم الساعة؟ فأخرج الساعة من جيبه وقدمها بكلتي يديه. تبسم الشيخ وقال: دع ساعتك! قال السيد فاطمي: بعد ذلك حلّت عدة مشكلات كانت في طريقي، لأنني قدمت الساعة من روحي وقلبي إلى الشيخ.

في إحدى المرات كان السيد دستغيب يريد أن يرجع من همدان إلى شيراز، أصر الشيخ عليه أن يبقى، وكان هو يصر أن يذهب ولا يترك صلاة الجماعة. في الصباح حيث كان مقرراً أن يرجع ذهب إلى الحمام ووقع على الأرض وكسر يده، وبقي هناك حدود شهر».

مهما كان كسر يده بالنسبة إليه تساوي إدراك محضر الأستاذ أكثر؛ ولكن:

إذا عرفت الشيخ انتبه! كن مسلّماً ...

## ليس صعباً

حقيقة! يا أيها الطالب للطريق، تفكر أحياناً أنه من أجل الوصول إلى المقاصد العليا لا بد من القيام بأعمال معينة؛ ولكن عندما تكون دقيقاً بسيرة الأئمة- عليهم السلام- والكبار، ترى أنهم وصلوا إلى هذه المقاصد العالية بمراعاة هذه الأعمال الصغيرة. يقول الشيخ إسلامية:

«رحمه اللّه كان شخصاً لديه نور، مثلاً عندما كان يريد أن يذهب إلى مكانٍ لم يكن يطلب العنوان، وكان يجده بالنور الذي كان لديه. في أحدى المرات جاء إلى خدمة الشيخ الأنصاري وبكى كثيراً وقال: ماذا أفعل أنا كي أصير مثلك مطمئناً؟ قال الشيخ: اذهب وأمسك لسانك!.

وفي قصة أخرى عن السيد أفراسيابي يقول:

«في إحدى المرات جاء شخص إلى خدمة الشيخ الأنصاري وكان يريد برنامجاً، قال الشيخ: اذهب وصم! كان شخصاً بسيطاً جداً. قال: لا أستطيع أعطش. يعني أن سلوكه كان في عدم الأكل فقط، وبما أنه كان حريصاً على الطعام، لم يستطع أن ينفذ برنامج عمل الشيخ».

نعم، والنسبة إلينا أيضا كم هو غالباً كذلك، يكون غل وسلسلة وجودنا وقيد أيدينا وأرجلنا إلى الأرض، وإلا لسلكنا طريق السماء. وحقيقة:

في قمار العشق أيها القلب متى كنت نادماً؟

قلبي!

إن لم يكن ممكناً لمَ كان عدد، وأنا لم أكن؟

إن لم يكن ممكن الذوق فلماذا ذاق البعض وأنا لم أذق؟

إن لم يكن ممكن الرؤية فلماذا رأى البعض وأنا لم أرَ؟

وإن لم يكن ممكن الوصول فلماذا وصل البعض وأنا لم أصل؟

**الصاعقة**

شعلة تستعر، نور يشع، نار تشتعل، قلب يحترق، صدر يلتهب، وإشراق نور بعظمة يحيط بكل الصحراء. وآه! أي لذة في الاشتعال في شعاع هذا النور، الاستضاءة والسير.

روحي تنور سعيدة بالنار

يكفي التنور أنه بيت النار

والأنصاري الهمداني كان وجوداً مشتعلاً من الرأس إلى القدم يحترق ويضيئ نوره. لهيب ناره الباطنية الذي ينطلق إلى الخارج، ما أعجب الاضطراب والضوضاء التي يفعلها، والجذبات التي تسيل من جذبته كم تثير من الارتعاشات. عندما يكون مضطرباً يكون أكثر هديراً من البحر الهائج، وعندما يكون هادئاً يكون سكونه أكثر وقاراً من السهل. كلامه مضطرب، سكوته محيّر ونظرته كانت بارقة عشق تنفث اللهب. هنيئاً لحال أولئك الذين

سلموا أنفسهم إلى أمواج ذاك البحر الهائج الهادرة، كي يصيروا غرقى في ذاك البحر الذي لا ساحل له.

**آية اللّه الشيخ حسن علي نجابت- قدس سره-**

الشيخ نجابت هو من أبرز تلامذة الشيخ الأنصاري الذي تمت معرفة الشيخ الأنصاري إلى حد كبير من خلاله، وقد كانت معرفته به عن طريق السيد القاضي كما مر بيانه. في عام ١٣٣٠هـ.ش عندما جاء الشيخ نجابت إلى خدمة الشيخ الأنصاري امتنع مدة، ولكن الشيخ نجابت لم يتراجع، فقال الشيخ الأنصاري:

«كنا قد صممنا على أن لا يتعرف علينا أحد؛ ولكن اللّه لم يرد».

فيما بعد كان الشيخ نجابت الذي كان له طلاب في شيراز يرسلهم إلى خدمة الشيخ الأنصاري كي يكتسبوا الفيض من محضره. في الحقيقة هم طلاب الشيخ نجابت وأدركوا محضر الشيخ الأنصاري. يقول الشيخ نجابت:

«في المرة الثانية التي جئت فيها لخدمة الشيخ الأنصاري نظر إلي وقال: أزيلت الجدران».

ويقول السيد القاضي عن الشيخ نجابت:

«هو من أهل الحرم».

قال أحد الرفاق هل يمكن أن يصير أحد من أهل البيت؟ قال: لمَ لا، ألم يصر سلمان منهم؟

## آية اللّه السيد عبد الحسين دستغيب- قدس سره-

السيد دستغيب كان رفيق درب الشيخ نجابت منذ الشباب، وفي النجف تعرفا على السيد القاضي، ثم وصلوا إلى محضر الشيخ الأنصاري.

عندما وصل السيد دستغيب إلى خدمة الشيخ الأنصاري، نظر إليه أحد الرفاق الذي كان صاحب مكاشفة وقال: ارفضه!؛ لكن الشيخ الأنصاري نظر إليه نظرة عميقة وقال: ابقَ!. هو بقي في السفر الأول شهرين في خدمة الشيخ الأنصاري. بعد الشهرين رآه ذاك الشخص الذي كان صاحب مكاشفة وقال للشيخ الأنصاري: ماذا فعلت به؟ هذا ليس ذاك الشخص السابق!

كان الشيخ الأنصاري يثق به جداً ويقتدي به، وأحياناً كان يطلب منه أن يتكلم في الجلسات. قبل حدود ثلاثين سنة قبل شهادة السيد سأل مرة الشيخ الأنصاري: هل أصل أنا إلى مقام الفناء؟ أجابه: نعم، وعندما خرج من الغرفة، قال لأحد تلامذته: بعد أن يستشهد يصل إلى مقام الفناء[1]. كان الشيخ الأنصاري يقول عنه: السيد دستغيب عجيب جداً، كان غرضه الصفاء الباطني، وقد وجده، كان لديه خلوة عجيبة. السيد ديتغيب كان لديه ظاهراً ارتباط بحضرة ولي العصر- عجل الله فرجه الشريف-.

يقول آية اللّه السيد مهدي دستغيب:

«ينقل الحاج مؤمن الذي ذكر في كتاب القصص العجيبة في

---

(١) نقلاً عن آية اللّه السيد مهدي دستغيب.

قصص عنه باسم الحاج عباس علي أنه في مسجد وراء (شاه جراغ) كان هناك خادم لديه ارتباط بحضرة ولي العصر- عجل الله فرجه الشريف-، وكان الحاج مؤمن في خدمته وناله ببركته بعض الأمور.

عندما فارق ذاك الخادم الدنيا حال الأذان، وجد الحاج مؤمن ارتباطاً مع الإمام- عجل الله فرجه الشريف- فقال له: اذهب إلى خدمة عبد الحسين دستغيب، لا تنظر إلى شكله فهو شاب، له مستقبل جيد. فبقي في خدمة السيد دستغيب حتى آخر العمر سفراً وحضراً».

## آية الله السيد مهدي دستغيب

هو أخ السيد الشهيد دستغيب، يقول:

«الشيخ حسن علي نجابت الذي كان من تلامذة السيد القاضي كان لديه جلسات في النجف، وأنا تعرفت عليه عن طريق أخي السيد عبد الحسين وشاركت في الجلسات. بعدها ببركة الشيخ نجابت تعرفت على المرحوم الشيخ الأنصاري، وعندما وصلت إلى خدمته رأيت أنه رجل غير عادي.

في أحد الأسفار التي كنت فيها في خدمة الشيخ الأنصاري قلت للشيخ نجابت: أنا ماذا أسأله هل أصير أنا كذلك من أهل الجذبة أم لا؟ تأمل الشيخ الأنصاري قليلاً وقال: لست مسلّماً، للوصول إلى هناك مقام الرضا لازم، فيجب أن تكون راضياً.

﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ...﴾[1].

(١) سورة المائدة، الآية ١١٩

بعد هذا المقام مقام الجذبة، وهو مقام عال لا يصل إليه كل شخص.

أنا كنت شاباً عندما كنت أذهب لخدمته، كنت في سن الرابعة والعشرين أو الخامسة والعشري، وعندما جئت إلى عنده أعجبت بأخلاقه. أنا كنت أضغط عليه وأصرّ. في ذلك الوقت كنا شباباً ولم نكن نلتفت، وكنت حزيناً وقلبي يريد الوصول إلى تلك الأماكن العالية. ولكن كان هو يتعامل بشكل ملائم وبلطف. كان رفيقاً بالشخص ويعلم جيداً أنه ما دام الشخص لم يتوجه نحو الرضا والتسليم إن دفعه إلى الأمام فإن مفاسد ستحصل من جراء ذلك؛ ولكن أنا لم أكن أقبل وكنت أصر دائماً، إلى أن حكى لي قصة فهدأت. أنا ارتبطت به مدة خمس أو ست سنوات، وما أستطيع أن أقوله بالنسبة إليه هو أنه كان غير عادي، غير عادي هذا المقدار يكفي».

**آية الله السيد علي محمد دستغيب (ابن أخت الشهيد دستغيب)**

في المرة الأولى التي جئت لخدمته فيها كان عمري بحدود عشرين سنة، كنت برفقة الشيخ نجابت وعدد آخر من الرفاق. عندما ذهبنا إلى مجلسه أخذتني عظمته واستطعت تدريجياً أن أرفع رأسي وأنظر إليه. بعد الجلسة ذهب الرفاق إلى الصحراء وكنت أنا هناك. كان قدس سره ذهب إلى السوق من أجل التبضع، وبقيت أنا وحدي في المنزل. فقلت في نفسي فلأذهب إلى الحمام وأغتسل غسل الجمعة. ذهبت إلى الخارج فرأيت الشيخ في الطريق يأتي من بعيد، عندما اقترب مني غير طريقه فأثر ذلك

في كثيراً وبدأت بالبكاء والنحيب حتى استحممت ورجعت وكانت دموعي ما زالت تنهمر. في طريق العودة رأيت الشيخ مرة ثانية من بعيد وعندما وصل إليغير طريقه مرة ثانية. رجعت إلى المنزل، ولكن لا إعلم ما هو التأثير الذي تركه في حيث لم يتركني البكاء. بعد أن رجع ﷺ إلى المنزل، ذهبت إلى قرب الباب وبمجرد أن وصلت ذهب من ناحية اليمين، وباختصار بتصرفه هذا انقلبت بشدة رأساً على عقب. يعني أنه يتصرف مع الداخلين الجدد بنحو يلتفتون كاملاً إلى العيوب وإلى إشكالاته. لقد بدأ بنا بهذا النحو وأفهمنا أنه يجب أن نزكي أنفسنا. فيما بعد شاركت في جلساته، أحياناً عندما كنا نأتي إلى خدمته، عند العودة كانت تصيبنا من بركته حالات توحيدية خاصة. طبعاً المقام كان له؛ ولكن من بركة وجوده كانت تحصل لنا حالات لا يمكن وصفها واقعاً، وهذا من بركة العلم والعمل الذين هما توأماه. كان لديه علم بالقرآن والسنة، وكان من أهل التزكية والعمل. عندما كنا نرجع من محضره كانت تصيبنا حالة خفة عجيبة، كما لو أننا لا نمشي على الأرض. كنا نصير خفيفين إلى حد أننا كان يحصل لدينا واقعاً فرح عجيب من أنفسنا وأرواحنا.

### الحاج محمد إسماعيل دولابي (رحمه الله)

أنا أيضاً لدي مشكلة في أن أتكلم عنه. كنت شاباً وكان قد سماني باسم، وشخص كهذا أنا جعلت له اسماً أيضاً، فقد كان شخصاً مجهولاً في طهران، ولكن أنا لم أذهب كي أجده، ولأراه. أصلاً أنا منذ الطفولة كنت كذلك، فعندما كانوا يقولون مثلاً إن

الشخص الفلاني يسير في العرش، فإن كان بعمري لم أكن أذهب لرؤيته.

لكن ما جرى كان كذلك، فقد كان هناك مسجد، مسجد معز الدولة، والعبد كنت أحب ذلك المكان جداً، كنت أستفيد من المراسم هناك والمجالس وصلاة الجماعة، حتى رأيت في أحد الأيام شخص جاء وكان معه أربعة أو خمسة أشخاص يرافقونه. كان المرء يحس أنهم يدورون حوله كالفراش.

سألت: من هو؟ قالوا: الشيخ الأنصاري... نعم، كنت قد سمعت به ولكن لم أكن قد رأيته. جيد ماذا كان علي أن أفعل، بقيت منطوياً على نفسي وكنت أدعو أقرأ شعر حافظ وأراقبه.

ذهب الشيخ الأنصاري إلى طرف الفناء لتجديد الوضوء. هو لم يكن حاضراً بأي وجه أن يملأ له أحد الإناء، ولكنه قام بهذا العمل لطلابه بذكاء كبير، أحدهم لم يكن ملتفتاً حينهما، وآخر بالملاعبة ومن يد إلى يد، وبذكاء لم يسمح أن يقوم أحد بأعماله».

ترى أيها العزيز هذه أليست فراسة؟ أليست هذه فراسة؟ أنا لا أقصد علمه وشخصيته العلمية والأخلاقية العامة، بل أنظر إلى نفوذه وصدقه في هذه الأمور الصغيرة التي لا يلتفت إليها. هو يمزح ويضحك، ويخدم، ولديه أخلاق عملية، ولا يرى نفسه أفضل، ويتحبب كثيراً، ويدرس.

«دخلنا إحدى حجرات المسجد، دخلت أنا أيضاً. كان هو جالساً يتكلم. لم يكن هناك مكان في الداخل، فجلست على

الأحذية، كان هو أيضاً يجلس قريباً من الباب، فصار مقابلي. كأنه جاء ليبقى يوماً أو يومين ثم يذهب إلى مشهد. سأل: هل أخذتم تذكرة من أجل مشهد؟

كان يريد باصاً كي يسافر إلى مشهد. تابع قائلاً: كأن كربلائي إسماعيل أيضاً سيأتي معنا!

أنا الغريب، بدون أي سؤال وجواب!!

قال ذلك وذهبنا، أنا كنت أسير إلا أنني كنت مشغولاً بنفسي، لم أكن أختلط بهم، وكنت منزوياً. وصلنا إلى مكان في وسط طريق مشهد كان مليئاً بأشجار العنب، وكان هناك عين ماء، فجلسوا قرب العين. أنا مثل الثكالى، كالمرأة التي مات زوجها وتختنق بغصتها، بقيت جالساً في سجني.

كانت تمطر من نظرته الفراسة والمحبة، بحيث أنك تحس في نظرته في عين الاضطرار بكامل المحبة، بحيث أنك تحس أن كل انتباهه متوجه إليك. لقد كان أسلوبه بنحو لا يوجه كلامه بشكل مباشر، وكان عموماً يبينه في قالب القصة، ومن هنا بدأت قصتنا.

وقد بدأت من قصة في كربلاء: عن اثني عشر قروياً ذهبوا إلى كربلاء. قال أحدهم: أنا سأبقى عدة أيام. عندما عاد أحد عشر شخصاً منهم، اتفقوا مع بعضهم من باب المزاح أن يتظاهروا أن الثاني عشر قد مات. عندما أقيمت مراسم الأسبوع والأربعين، وعاد كل شيء إلى عادته، وصل الرفيق الثاني عشر إلى بيته مساء، ضرب الباب، جاءت المرأة المنكسرة وسألت: من أنت؟

قال الرجل بصوت مبحوح: يا امرأة أنا رجعت من السفر.

قالت المرأة: رحمه اللّه، الآن لقد اهترأ كفنه، أنا أيضاً مفجوعة ووحيدة ولا أستطيع أن أسمح له بالدخول.

قال الرجل: زوجتي أنا أعرف صوتك افتحي الباب.

قالت المرأة: الأشخاص الذين قالوا لي إنه مات ليسوا أشخاصاً عاديين، كانوا موثوقين.

بدأت المرأة بذكر الأسماء والألقاب: قال فلان، وقال فلان، وبقيت تذكر إلى أن قال لها الرجل: مهما كان أولئك أشخاصاً جيدين، ولكنني أنا الآن افتحي الباب.

ثم قال: أولئك الذين جاؤوا كانوا أشخاصاً صالحين، ولكنني أنا أتيت، فافتحي الباب.

وفتح الباب، وانقلبت بعدها، وذاك القلب كان قلبي. وهو قد اصطادني بهذه الحكاية، وسلب قلبي».

يقول الشيخ إسلامية: كان الحاج دولابي مؤدباً جداً في محضر الأستاذ، وكان الشيخ الأنصاري يقول عنه: «وصل إلى النفس الزكية».

### المرحوم السيد تناوش (صهره وتلميذه)

تقول السيدة فاطمة الأنصاري عن زوجها: «كان عمري خمس عشرة سنة عندما تزوجت، وكنت قبلها قد رأيت مناماً أنني كنت جالساً في رواق الإمام الرضا عليه السلام، وكانت السيدة

الصديقة جالسة. كانت العباءة على رأسها، فقالت: إذا جاء السيد لا ترفضي. فيما بعد عندما ذكرت المنام لأبي، قال: السيد الجليل القدر سيأتي، لا تنسي هذا المنام.

درس المرحوم (تناوش) في الخارج، وأقام هناك إحدى عشر سنة، ثم عاد إلى إيران. كان لديه خال اسمه الميرزا أبو القاسم اللواساني الذي صار من مريداً له جداً، وكثيراً من المسائل هو علمها لتناوش. بعد مدة انتقل إلى رحمة الله، وبقي السيد تناوش وحيداً. توسل أربعين ليلة جمعة بحضرة عبد العظيم. عندما أراد في ليلة الجمعة الأربعين أن يأتي، أحس بانكسار شديد في قلبه لأنه لم يرَ أحداً. بمجرد أن أحس بانكسار القلب، سمع ن داخل الضريح صوتاً يقول: اذهب مع رفيقك الشيخ معين إلى همدان. قال: أنا لا أعرف إلى أين أذهب؟ إلى من أذهب؟ فعرفه بالمرحوم أبي بعباءته وقبائه.

كان السيد تناوش يقول: زرت الشيخ مرتين في الحرم، في ذلك الوقت لم تكن علاقتي بعلماء الدين جيدة. وبعدما رجعت إلى المنزل صار وضعي سيئاً. في تلك الحال كنت أقول إلهي كم أنت جيد وأنا سيئ، أصابني دوار شديد وكانت حالي سيئة.

بعدها وفي تلك الحال رأى والدي المرحوم، وضع يده عليه فهدأ. كان يقول: بقيت أبكي حتى الصباح وأنتحب فأنا قد وجدت ما أفقد. اتفق أنه كانت ليلة ولادة أمير المؤمنين عليه السلام، اغتسل غسل التوبة والاستغفار مع البكاء والندم، وبعدها

حصلت له مكاشفة فرأى أن حضرة النبي ﷺ والأمام علي عليه السلام جاءا وأعطوه قرآناً. ثم رأى أنه قد وضع مقعد وجاءت حضرة الزهراء عليها السلام وقالت ثلاث أو أربع مرات: «أشكر اللّه على تعيين أولادي»، ثم قالت: «اذهب إلى همدان واسمع للشيخ الأنصاري».

بعد هذا يذهب السيد تناوش إلى الشيخ معين ويقول له: أنا قد دعيت إلى ذاك الشيخ الذي تذهب إليه. فما هو شكل ذاك الشيخ؟ وأعطاه العلامة، بعدها وقع الشيخ معين وقبل يده ورجله، وقال: أنت تشرفت. وذهبا إلى منزل الشيخ في همدان. اتفق أن والدي المرحوم هو من فتح لهما الباب. قال (السيد تناوش): أنا لأول مرة أقع وأقبل رجل أحد العلماء.

كان لدى المرحوم خاله علم الجفر وهذه الأشياء، وكان قد علمه، وكان يقول: أنا كانت عندي هذه الأمور، وفكرت أنني لن أريها للمرحوم الشيخ الأنصاريّ!

فما بعد عندما أحضر سماحته الفطور، وكان هناك عدد من العلماء، بدأ الشيخ بالكلام وضرب مثالاً وقال: أنت اشترطت أن لا تريني،نحن أيضاً اشترطنا أن لا نريد منك شيئاً. أنا التفت ما هي القضية، ومع من يتكلم الشيخ! أحضرت الأوراق وقدمتها بكلتي يدي إلى الشيخ، وهو نطر إليها من بعيد قال: كتبت غلطا يا ولدي الحبيب، مزقها وألقها في الماء. اللّه يعطيك علم اللدن! كانت هذه موجودة في روحي، ولكنني ألقيتها بعيداً!

تتابع السيدة فاطمة الأنصاري: «أنا كنت أذهب أحياناً وأقرأ

مذكراته، كانت تصل إليه أوامر من الغيب، وكان لديه حالات عجيبة. رحمه اللّه كان رجلاً صالحاً جداً جداً».

**الشيخ إسلامية (صهره وتلميذه)**

كان الشيخ غلامحسينالسبزواري أحد رفاق الشيخ الأنصاري يقول لي: أنت كنت طفلاً لديك ثمان أو تسع سنوات، نحن دخلنا في أحدى المرات إلى ... وكنا ذاهبين مع الشيخ إلى مكان، وأنت كنت تسير وكنت ذاهباً إلى المنزل. رآك الشيخ الأنصاري وقال: هذا الولد هو لنا من بين ثمانية أولاد.

كانت أول معرفة لي به عن طريق صلاة الجماعة. لم يكن يظهر أي أثر ظاهري له؛ ولكن عندما كنا نحضر في

صلاته كانت تصيبنا بهجة وسرور عجيبان، وكان ذلك مقدمة لتعلقنا به، والمشاركة في مجالسه. أول جلسة شاركنا فيها افتتنا وانجذبنا إليه وبقينا حتى النهاية في خدمته».

**السيد أفراسيابي (صهره وتلميذه)**

«أنا كنت مدرب رياضة، وفي أيام الشباب والعشق. ثم قال لي مرة أحد أصحابي أنا وجدت أحدهم ممن أنت تريدهم! تعال يوم الاثنين إلى منزلنا وهو سيأتي. باختصار نحن عددنا الأيام حتى يأتي ذاك اليوم الذي نكون فيه في خدمته، ولم يكن ذاك الشخص غير الشيخ نجابت. جلسنا، وتكلم معنا بالكلام المحبب الذي ينسجم مع رغبتي، ببساطة وبلا تكلف، وفي الجلسة الأولى

سلبني نفسي. على كل حال بدأت هذه الزيارات واستمرت، إلى قال لي الشيخ نجابت: أتريد أن تذهب إلى خدمة الشيخ الأنصاري؟

أنا لم يكن لدي معرفة به، فذكر الشيخ نجابت بعض التوضيحات عنه، فصرت مشتاقاً للقائه. في ذلك الوقت كان وقت مدرسة أيضاً، ولا يعطونني الإذن، ولكن قلت: أخذت إذناً أم لا أنا ذاهب! إلى أن وصلت إلى خدمته،، فرأيت أن الوضع وضع آخر! لم يكن مجلسه يحتوي على كثير من الكلام والحديث، وكان أغلبه سكوت، والخلاصة أن حالنا هناك تغير كثيراً.

بعد مدة قال لنا الشيخ نجابت: تزوج وكان مصراً. تم اقتراح عدة أسماء ولكن لم يتم. فيما بعد قال: أتريد بنت الشيخ الأنصاري؟ وكتب رسالة للشيخ وهو لم يمانع، وذهبنا نحن إلى همدان، والخلاصة أنه تمت الموافقة. جيد ماذا أقول لم يكن شيء من ذلك قابلاً للتصديق أبداً! والآن نحن لا نصدق! أين وأنا وأين همدان وأين ابنة الشيخ؟ ولو أعطاني اللّه عمراً ملايين السنين، وسجدت له ليلاً ونهاراً لما استطعت أن أشكر هذه النعمة التي كانت من نصيبي».

### الأستاذ كريم محمود حقيقي

يتحدث الأستاذ كريم محمود حقيقي عن علاقته بالشيخ نجابت فيقول: «أنا العبد تعرفت في جلسة دينية على الشيخ نجابت، وبعد عدة زيارات رأيت أن لديه أفكاراً عرفانية. نظراً

إلى أنه كان لدي في ذلك الزمان مقدار من المعتقدات الدينية الجامدة، فقد كنت خائفاً بعض قليلاً. مع أنني كنت أرى نوراً متجلياً فيه إلا أنني كنت لم أزل متردداً. في إحدى الليالي عند السحر أحسست بأحد يركلني برجله، قمت فلم أرَ أحداً، نمت مرة ثانية، فأحسست بركلة أخرى! قمت ورأيت سيداً محترماً ذا قوام رشيق، وقال: كم مرة نقول لك استفد من الشيخ نجابت!

بعد هذه القضية ازداد إيماننا القلبي به. إلى أن ذهبت إلى همدان لأول مرة بأمر الشيخ نجابت؛ كي أكون في خدمة الشيخ الأنصاري. ذهبت إلى المنزل فقالوا: هو في المسجد، عندما ذهبت إلى المسجد ما أن وقع نظري عليه رأيت عجباً! هو نفس الشخص الذي ركلني في المنام! وبعدها بقيت في خدمة ذاك الشخص العظيم حتى النهاية.

في إحدى المرات في أيام شبابي رأيت مناماً أنني نائم في القبر وكان فوق رأسي بحدود عشرة أمتار من التراب. بعدها جاء الشيخ نجابت ووضع يده على القبر فانفتح القبر وأخرجني منه.

كان لدى الشيخ الأنصاري اهتمام وعناية خاصة بالشيخ نجابت، وكان يقول: أمر الشيخ حسنعلي مختلف عن الجميع».

من الأشخاص المحترمين الذين أدركوا محضر الشيخ الأنصاري الهمداني، يمكن ذكر السادة الحاج غلامحسينالسبزواري، الحاج محمد حسن البيات، الحاج حسن شركت، السيد غلامحسينالهمايوني، الحاج السيد حسن معين الشيرازي، حجة الإسلام السيد عبد الله الفاطمي الشيرازي، السيد محسن بينا،

آية اللّه محمد حسين الطهراني، الحاج محمد رضا كل آرايش وغيرهم.

**الحضور في خلوة الأنس**

فلتحيا ذكرى من شرب الخمر في مجلس الأنس
لم يكن غيري أنا والحبيب وكان اللّه معنا
فلتحيا ذكرى ذاك الذي كان ينشر لباس شمع الطرب
وهذا القلب المحترق كان فراشة لا تخاف[1]

من لسان سكارى صباح مجالس الأنس والحضور نقول، ونكتب من ذكريات الليالي الممتعة لأولئك المقيمي الليل، يقول احمد الأنصاري:

«لقد كان هو احتراق معنوي كامل، وكان يحترق كالشمع، ويطرب. لم يكن في المجالس كلام عن الكلمات الغامضة والاصطلاحات العرفانية، كان يقول: إذا لم يكن لدى الأشخاص قدرة على فهم المسائل التوحيدية، فإن ذلك سيكون من أسباب المشاكل لهم. وإذا سئل عن هذه المسائل، لم يكن يجيب بأجوبة صعبة، وكان يبسط المسائل.

وينقل الشيخ إسلاميه أنه: كان أحياناً يتكلم عن آيات القرآن ويقول: القرآن نور ويزيل الكدورات.

ويقول آية اللّه السيد علي محمد دستغيب: أو كان يقرأ

---

(١) ديوان حافظ.

الجوشن الكبير، أو كان يقول للرفاق: اقرأوا من شعر حافظ أو بابا طاهر.كان يأنس بحافظ، وإذا قُرأ شعر حافظ كان وجهه يزداد حمرة وجمالاً، وكان أحياناً يهرق الدمع بسكون وبدون صوت. وعندما كان يغيب عن نفسه كانت تحدث لديه حالة عجيبة، ولا نستطيع حينها أن ننظر إلى عينيه».

## الخلو من الأوهام والتخيلات

كان سكوته محيراً، وكان هذا أحد برامج الجلسات. السكوت، التخلية، التفكر، نعم يجب إلقاء جميع الأوهام والتخيلات خارجاً. يجب أن نتخلى، يجب أن نخرج الغل والغش. والسكوت هو أفضل صرخة على هذه الأمور الغريبة عن حريم القلب. في بعض الجلسات التي كانت تقام بعد صلاة المغرب والعشاء، كان هناك ساعة أو ساعة ونصف من السكوت. لعله كان من وضع صلاته، فقد كان يسلك في صلاته، وكان سكر ذاك السلوك يحمله إلى وقت ما في عالم الغيبوبة. نحن لم نكن نفهم إلى أين يصل في ذلك السكوت، لكن جذباته كانت تأخذنا، وأي أخذ كان!

كان يجب أن نصفو في ذلك السكوت، صفاء مطلقاً كي نهيئ الأرضية لقبول وتهيئة القلب. كان عمله في البداية الصقل، ثم السير، فالقلب والذهن المملوء بالمشاغل وطلب الدنيا كيف يصير قابلاً للنور والضياء؟

صفِّ نفسك من أوصافك

كي ترى ذاتك الطاهرة الصافية

لم يكن علمه تعليمياً، بل كان لدنياً، وهو كان يوصل الحقائق إلى القلب. كان تأثير جلساته أن يعطي لحضور اللّه لوناً، كنا نحس بمعية اللّه، وكنا نحس بالفرح أحياناً كأننا كنا في السماوات.

ينقل آية اللّه السيد علي محمد دستغيب أنه: في إحدى المرات كان قدس سره يحكي قصة، فقال بعدها: «بهذه الحال التي يأتي بها الأصدقاء لا فائدة، إذا أردت أن تأتي يجب أن تأتي بشكل صحيح».

**طريق العشق ونكران الذات**

يقول آية اللّه السيد مهدي دستغيب عن كلام الشيخ الأنصاري معهم:

«في إحدى المرات كنا مع الشيخ نجابت في خدمته، كان الشيخ نجابت قد رأى شيئاً في عالم الرؤيا، فنقله وقال: رأيت في الليلة الماضية مناماً أنكم على قمة جبل وكنت أنا في أواسط الجبل أصعد إلى الأعلى، لم يكن هناك مكان للقدم، لم يكن هناك مكان جيد، وكنت أصعد بصعوبة. قال الشيخ الأنصاري: أرأيت كم هو صعب طريق العشق هذا؟! يعني يجب أن تفتدي كل شيء وأن تقدم نفسك أيضاً فداءً حتى تصل! الإنسان ما لم ينكر ذاته من المحال أن يصل! ما دام الإنسان عابداً لنفسه من المحال أن يصير عابداً للّه، والعشق هو الذي يمهد الطريق».

كان يقول: إما أن لا تأتوا، أو إن أتيتم فاتوا بشكل صحيح.

كان نَفَسَه يزيل كثيراً من العيوب والقبائح، ولكن لم يكن هذا هو الأصل، فالسالك يجب أن يجاهد نفسه. كان يقول:

«أنا لا تأثير لي، بقدر ما تجهد لنفسك تصل».

الجلسات كانت عجيبة جداً، كان الأشخاص يخرجون غالباً بتحوّل وانقلاب داخلي، وأحياناً كنا كل الوقت نذرف الدموع، وكلما كانت أصفى كان التأثير أكبر. كنا نمتلئ بعد الجلسة، وكأن كل مشاكلنا قد زالت.

كان يبين المشاكل الخاصة بكل شخص بقالب الحكايات والإيماء والإشارة، وكان كل شخص يلتفت إلى نقائصه ومشاكله، فإن لم يلتفت الشخص كان ينبهه بشكل خاص.

### هوى النفس والأنانية

يقول أحمد الأنصاري: «كان لدينا ثلاث ليال في الأسبوع، وكان بعضها يقام بشكل خصوصي. كان يقرأ في جلسات يوم الأحد الآية التالية كثيراً: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ﴾(١)

كان يعتبر أن مخالفة هوى النفس هو برنامج مؤكد للسالك، وكان يقول كما ينقل أحمد الأنصاري: «كلما كانت نفسك تميل بشدة إلى شيء، يجب أن تتركه؛ حتى تصل إلى مكان لا تعمل ذرة بما يخالف طريق الهداية، وتصل إلى مرحلة تتجاوز نفسك، عندها لا يبقى شيء غير الله». وكان يقرأ هذه الآية:

(١) سورة النازعات، الآية ٤٠.

﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ﴾[1]

ويقول الشيخ إسلامية: «كان يقول: يجب أن تنتبه إلى أن لا تكون الأعمال عن هوى النفس. أن لا تكون العبادة التي تفعلها هوى النفس. أن لا يكون الكلام الذي تقوله مدحاً لنفسك. أن لا يكون مجيئك إلى هنا من أجل هوى النفس. ويجب أن ترى الأستاذ كي يصير تشخيص هوى النفس والأنانية والنفسانية أسهل».

### رضا اللّه أو هوى النفس؟

يقول أحمد الأنصاري: «سئل كيف نشخص أن عملنا هو من أجل رضا اللّه (سبحانه) أو هوى النفس؟ أجاب: في بداية الأمر له خصوصيات، ولكن في الوسط والنهاية يكون التشخيص أصعب! في البداية عندما يعمل المرء عملاً من أجل اللّه، يصيبه بهجة وانبساط داخلي، وتلك البهجة هي علامة قبول الأعمال، كما إذا أخذ بيد شخص فقير، بعدها تحدث لدى الإنسان حالة من التوجه، تلك الحالة والانبساط هو علامة قبول الأعمال. ثم يقول: ولكن لا تفرحوا بهذا كثيراً، فهذا هو تسلية الطريق. وقد كان يكرر هذا المصطلح كثيراً: هذا تسلية الطريق.

أحياناً كان يتكلم مع بعض العلماء والوعاظ الذين يأتون إلى خدمته بشكل آخر. في إحدى المرات تكلم بغضب مع أحدهم وقال: إلى متى تريد أن تعمل من أجل إبراز وإظهار نفسك؟ كم سنة تظن انك ستعيش؟

---

(١) سورة يوسف، الآية ٥٣.

كان ينبّه كثيراً ويقول: تورعوا عن الأنانية وتعظيم النفس ومدحها، هذا فخ كبير جداً من الشيطان. فكروا إن جاؤوا اليوم وقبلوا أيديكم، وكذلك غداً! اليوم نعم وغداً لا. فلا تفرحوا بالمعاملة الحسنة اليوم ولا يضيق صدركم بذم الغد».

### آثار الأربعين

كان بعض الأشخاص يأتون لزيارة الشيخ - قدس سره -، ونحن لم نكن نستطيع أن نتعهد أنفسنا، في ذلك الوقت كان يعطينا برامج خاصة أكثر، مثلاً كان يأمرنا بقراءة القرآن أكثر، وأن يكون لدينا سجدة أطول وغير ذلك، وكان هو نفسه يدقق بالبرنامج. يقول محمود حقيقي:

«في إحدى المرات كان قال أحد التلامذة: أعطاني - قدس سره - ذكراً أذكره أربعين يوماً، في اليوم الثلاثين أو الخامس والثلاثين قال : هذا كاف! لقد أثر تأثيراً كافياً. في حال أنني لم ألتفت أبداً ولم أر أي أثر. بعد حدود عشرة أيام رأيت التفت إلى الآثار في نفسي. يعني أنه كان يعرف الآثار التي تحدث في الروح في تلك المرتبة العالية قبل أن يدرك التلميذ نفسه ذلك».

### النظرة السماوية

كانت نظرته نافذة وتحدث تحولاً، يقول الدكتور علي الأنصاري:

«في تلك الأيام الأخيرة التي كنت أحس بذهابه كانت لدي

حالة قبض وثقل، فجاء فجأة إلى الباب ونظر إلي نظرة عميقة، وبدأ بالكلام، والتفت أنا إلى أن هذا الكلام كان مبرراً، وكأنه كان يريد أن يهدئني بنظرته. فيما بعد أحسست أن حالة قبض تحولت إلى بسط وسكون. وكأنه كان يريد أن يفهمني أنه معي كي لا أخاف».

يقول السيد إسلاميه:

«كان الحاج عبد الزهراء أحد الملازمين للشيخ، وكان لطيفاً جداً معي. في إحدى الليالي كنا سوياً في منزل الشيخ الأنصاري. أزاح الشيخ الأنصاري الستار من الداخل ونظر إليه نظرة، فتأوه الشيخ معين وقال: الآن أحسست بالراحة، جاء نسيم وأحسست بالاطمئنان قليلاً. الآن، أي لطف تلطف به الشيخ عليه؟ اللّه يعلم!».

يتذكر السيد أفراسيابي نظرات الشيخ الأنصاري النافذة والفردوسية فيقول:

«نظرته وبسمته تغير الإنسان. لا يمكن وصفها أبداً، وأنا لدي ذكرى عن تلك النظرة بالخصوص. لقد كانت بسمته تقلب الإنسان رأساً على عقب، كأن الإنسان كان في الجنة؛ ولكن من ناحية أخرى نستجير باللّه عندما يغضب!. في إحدى المرات كنت في خدمته فجلست بجانبه خمس أو ست دقائق، ولكن رأيت أنني لا يمكن أن أتحمل، كأنني كنت في جهنم.قمت كي أرجع، قال: إلى أين؟ قلت: أريد أن أذهب، قال: اجلس الآن اشرب كوباً من الشاي. عند ذلك زال القبض، بعدها التفت إلى أنني كان لدي مشكلة لذلك كانت نظرته قاسية».

الخلاصة أنه كانت تختفي في وجوده ونظرته وكلامه وسكوته وإقباله وإدباره دنيا من المعاني. يجب أن تسلم نفسك كي تستطيع أن تسافر معه.

يقول المرحوم دولابي: «يجب أن تكون تلميذاً له كي تفهم ما هي نظرة الشيخ الأنصاري، والخلاصة أنه متى كان السمع كالرؤية. فكل من كان يقترب منه كان يستفيد من رؤية هذه النظرة. أنا كنت أحبه وكنت أنظر إليه، صبه للشاي، أكله، نومه وغيره».

هل تعلم سر هذا التحول، وقلب باطن الناس رأساً على عقب؟ إنه كالمثل الذي يقول: الإناء ينضح بما فيه.

### حال ذوي القلوب المدماة

يقول الحاج إسماعيل الدولابي: «في بعض الأوقات كنا نذهب معاً إلى الخارج، ونسير، كنت أنا أذهب وأنظر إليه، فقد كان قوامه وجسمه كله نوراً، كنت أحس بالنور في تمام وجوده. كان يذهب إلى جبال همدان، وكم كان يسير ويمشي. كان ينظر إلى السماء وإلى الكواكب، الأشجار، الصحاري وغيرها، وعندما كان يذهب ويرجع يكون أمراً يستحق المشاهدة.العيون منيرة، الوجه جميل، الحاجبان ممدودان، وقد أشرق العشق منه...

لم يكن لديه أبداً أي بكاء علني. كان يذرف الدمع بدون صوت، كان منديله في يده ويمسح دموعه. أنا كنت فقط أشاهد تلك الحالات النورانية والملكوتية، كان عجيباً ... عجيباً».

حال ذوي القلوب المدماة التي يتكلم عنها ثانية

وكم ينبع دم الخم من الفلك ثانية

كل كان كالأقحوان صار كأساً دائراً

اغسل هذا الوجه من الجفاء بهذا الدم ثانية

لا يفتح قلبي كالبرعم إذا

لم ينتشر عطر الخمر من شفته ثانية

واحسرتاه! هو ليس بيننا، ولكنن روحه مازالت تأخذ بيد العطاشى، وهذه من خصوصيات رجال اللّه فهم يأتون إلى العطاشى والطلاب في حياتهم ومماتهم.

واحزناه!

إن كنت تحس بالعطش، إنواجه قلبك الترك، إن كنت عطشاً للمطر، تستطيع أن تسير مع أول وصية له كي ترى إلى أين تصل.

وأول وصاياه هي الإتيان بالواجبات وترك المحرمات، وكان يعطي أهمية كبيرة للمستحبات، وينهى بشدة عن المكروهات. ينقل أحمد الأنصاري عنه قوله:

«المكروهات هي حريم معصيته، وهي توصل الإنسان إلى حافة جهنم، وكيف يعلم أنها لن ترميك فيها؟ فاسعَوا للتورع عن المكروهات...»

أتريد أن تقسم بجمال عشقه المقدس، وأن تبدأ من اليوم، من

أينما أردت! من الواجبات، من المستحبات، من ترك المعصية، من ترك المكروهات، أو من ترك هوى النفس. وإن أردت العون من روحه العظيمة، فهو سيساعدك حتماً. امتحانه لا يحتاج إلى مؤونة كثيرة!، فقط بسم الله، ويا علي برجولة.

**متعة المشاهدة**

لم يكن طلابه يشبعون منه، فنفسه كان مسيحياً، وقوله كان ماء الحياة.

أنفاس عيسى لطيفة من حافة كأسك

ماء الخضر كتابة من رشف شفاهك

يقول المرحوم الدولابي:

«لم يحدث أن صنع لنا الطعام وسمح لنا أن نساعده مرة واحدة. عندما كنا نقوم عن السفرة، أول شخص كان يساعد ويساعد جداً هو. لم يحصل أن يشتري شيئاً من الخارج ويكون معه مرافقين ويدعهم يأخذونه من يده، إلا إذا طلب هو، وإلا لم يستطع. إذا أراد شخص أن يدفع المال حتى إن كان لديه مال كثير لم يقبل. وإن ذهب ليشتري شيئاً للشيخ الأنصاري فهو لم يكن يقبل مطلقاً. أخذ من الشيخ نجابت ماله ولكنه أعاده له في النهاية كي يكون مرتاحاً. لا تقل دائماً اذن لي!

في إحدى الليالي كنا معاً كنت أريد أن أشتري شيئاً لعروس ولده، مهما أصررت وقلت أريد أن أشتري شمعداناً، لم يسمح لي وقال: يوجد مال كاف».

يقول أحمد الأنصاري:

«هو قبل تحوله تقدم إلى أن صار أستاذاً في العلوم الفقهية. وعندما أخذ الإذن بالعودة وأخذت حياته مساراً عرفانياً، بعدها لم يعد يرى نفسه صاحب أي اختيار، وجعل نفسه تابعاً لإرادة اللّه، كان يأخذ الجميع بأحضانه الواسعة، ويقول: حياتي وقف على أحبائي».

ونحن الذين لا تصل أيدينا إلى ذاك المقام السامي نقول فقط:

من يصل هو من يطهر أذيالك من العيب

طاهر مثل القطرة التي تقطر على ورق الورد

محبته كبيرة في قلوب تلامذته إلى حد أنهم كانوا يصيرون مرضى من عدم رؤيته. يقول الشيخ إسلاميه:

«أحياناً كنا نصل إلى وضع لا نتحمل، كنا نترك العمل ونذهب كي نراه فنهدأ».

لكن مع كل ذلك العشق والمحبة التي كانت لديهم بالنسبة له، لم يكن يسمح أبداً بأن يتولوا شيئاً من أعماله، إلى حد أن الشيخ أفراسيابيكان يقول:

«حتى عندما كنا نذهب معه من أجل التسوق، لم يكن يسمح بأن نحمل وسائله».

ويقول السيد إسلاميه:

«مع كل أولئك الضيوف والزيارات لم يكن يأذن أن نقوم بأي عمل. نحن في الأواخر قررنا مع الرفاق أنه مهما حصل يجب أن نجعله يأذن أن نقوم بالتسوق لمنزله. اتفقنا أن نذهب صباحاً إلى منزله ونقول له ادفع أنت ثمنه، ولكن على الأقل اسمح لنا أن نتسوق. قبل مدة خمسة أو ستة أشهر من وفاته ذهبنا إلى منزله، وجاء بنفسه إلى الباب وقلنا له أننا جئنا من أجل هذا العمل. قال: لم يحن وقته، عندما يحين أخبركم، نعم، بعد عدة شهور أخرى...!»

حقاً كنا نبقى متحيرين أمام كل هذه العظمة والكرامة التي سلبت قلب ذوي القلوب المسلوبة. نعم!

وإن كان مشتروا الحُسن جاؤوا نحو التجلي

لا أحد يصل إلى حسن وجمال حبيبنا

### الحياة والمعنوية

أسلوبه العرفاني في تربية التلامذة لم يكن مبنياً على التزهد والابتعاد عن الدنيا، بل كان يوصي تلامذته أن يكونوا في المجتمع، ويتزوجوا وأن يكون لديهم عمل مناسب.

يقول أحمد الأنصاري:

«كان يدقق في هذا النوع من المسائل للطلاب، وكان يأمرهم بها، وإن لم يكن لديهم وضع مالي جيد كان يأمر أصدقاءه أن يساعدوهم كي يستطيعوا تأسيس حياتهم».

كان يرشدهم في مجال الزواج، وكان أحياناً يرفض بعض الأمور، وكانوا فيما بعد يلتفتون إلى المشاكل فيتلك الأمور.

## الوصية بالزواج

يقول السيد إسلاميه عن هذا الأمر:

«في إحدى المرات كنا أنا والسيد السبزواري نجلس معاً تحت ( الكرسي)(١) وكان السيد سبزواري يرغبني بالزواج بصوت منخفض، وأنا لم أكن أقبل، وكنت أقول: هذا من الأمور الدنيوية، وأنا لا أريد. في ذلك الوقت جاء الشيخ وقال: ماذا لديكم؟ قولوا لي! قال السيد السبزواري: لدينا كذا وكذا. نظر إلى المرحوم الأنصاري وقال: ألم تسمع قصة ذاك الشخص الذي قالوا له إن فلان يطير في الجو، قال: الحمام يطير أيضاً في الجو! قالوا: فلان يسير على الماء! قال: البط أيضاً يسير على الماء ... ثم قال: إن كنت رجلاً تزوج، وكن في المجتمع. كن في الناس ولا تكن معهم، فهذا هو الفن».

وتقول السيدة فاطمة الأنصاري:

«أحياناً كان يقول لبعض الأصدقاء الذين كانوا يأتون ويبقون في منزله: اذهبوا إلى منازلكم، واهتموا بحياتكم، أليس لديكم زوجة وأولاد؟!»

(١) نوع من المدافئ المستعملة في إيران، توضع مدفأة تحت طاولة ويوضع غطاء كبير عليها ليحفظ الحرارة ويضعون أرجلهم تحته.

## الجسم مع الخلق والقلب مع الله

كان قدس سره يؤكد على العمل، وكان جميع الرفاق لديهم عمل. كان السيد السبزواري تاجراً، وكان لدي السيد بيات دكان، وكان السيد همايون مدرساً، وكان البعض طلاب علم، وكان البعض الآخر مزارعين، ولم يكن أحدهم بلا عمل.

كانت الحياة العادية في محلها والتهذيب والمجاهدة في محلها، وكان الهدف أن يكون البدن مع الخلق والقلب مع اللّه. كان أسلوبه كذلك، ولم يكن هناك أي كلام عن العزلة والاجتناب.

كان السيد غلام حسين السبزواري الذي كان من ملازمي وخواص الشيخ يريد أن يترك التجارة مرات عديدة، ولكن الشيخ لم يجز له ذلك ويقول: «خدماتك هنا ممدوحة». يعني أن تلامذته كانوا أشخاصاً لديهم حياتهم ولديهم سير وسلوك معنوي، وهذا علامة سعة فكر المرحوم الأنصاري، فهو كان يتبع سيرة الأئمة ـ عليهم السلام ـ، لا بإفراط ولا تفريط، ولا يدعو للفرار من الدنيا وللاعتزال، ولا لطلب الدنيا وطلب الزيادة.

لقد كان طريقه واضحاً، الحياة والتنعم بملذاتها بمعية اللّه ولأجل اللّه وفي كسب رضاه، وهذا يعني جمع إدراك اللذات المعنوية إلى جانب نيل النعم المادية.

يقول الدكتور علي الأنصاري: «كان يقول إذا استطاع شخص أن يدخل إلى هذا المجتمع المليء بالضجة الذي توجد فيه عوامل الضعف كثيرة، ويحفظ نفسه بأن لا يرتكب خطأ ويؤدي

تكاليفه بشكل صحيح، فإنه سيصل إلى نتيجة بشكل أفضل من الشخص الذي ينزوي، ويجلس في زاوية ويتخذ الدروشة».

### لا تكن عالة على غيرك

كان لدى سماحته معرفة بشغل وعمل الأصحاب، وكان له رأي بالعمل وناتجه، وكان أحياناً يقول العمل الفلاني ليس مناسباً لك، أو أنه لا نتيجة له، أو يذكر مشاكله ويقول كما ينقل أحمد الأنصاري: «لا تكون كلاً علي الغير، لو وجدت عمل الحمالة فاعمل به ولا تكن عالة».

لم يكن يوصي بعمل خاص، وكان يرغّب كل شخص بما يطابق ذوقه وفنه. لكنه كان يحدث شيئاً من التغيير في كيفية العمل، وكان يقول يجب أن تصلحوا نياتكم أيضاً، وكان يؤكد على مراعاة المسائل الشرعية والحلال والحرام في عملهم. في ذلك الوقت كان يعارض العمل في الحكومة بسبب معارضته للحكومة البهلوية.

وينقل أحمد الأنصاري: «جاء إلى زيارته أحد الأقارب الذي كان يعمل في المحكمة واستشار سماحته في مجال عمله. فقال له سماحته: أنا أوافق بشرط أن تأتي بملفاتك حتى استنبط لك من أصول الشرع، وأعطي الحكم. قال سيدي لا يمكن يجب أن يكون مطابقاً للقانون. فقال سماحته لا! أنا لا أرى في هذا العمل مشروعية. فقام بعد هذا بتقديم استقالته مع أنه بقي له خمس أو ست سنوات للتقاعد».

قطعت قلبي عن الجميع وجلست قرب رجليك

غريب هذا العالم كل من كان هو عارف بك

لا تقطع هذه المرحلة بدون الخضر

لا تأخذ أي نفس إلا في ظل الشيخ

فخذ بذيل ذاك المتنفس بقوة

إذا أخذت بقوة فإن ذاك هو توفيقه

كل قوة تأتي فيك هي جذبته[١]

إن حفر ومنحدرات الطريق كثيرة وأخطار النفس كثيرة والشيطان دائماً في المرصاد، وشركه لكل أحد هو من جنس التعلقات النفسية، وهو قد أقسم بالعزة الإلهية:

﴿وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾[٢]

حذار من أن ترمي الشوق الذي القي في روحك؛ بل يجب في البداية أن تجد دليل الطريق كي تهتدي في ظله:

ظل القائد أفضل من ذكر الحق

كن موسى يجب لك الخضر

يقول السيد القاضي: «إذا صرف شخص كل عمره حتى يصل إلى خدمة أحد الأولياء، ووجده آخر عمره فهو لم يضيع عمره،

---

(١) مثنوى‌معنوى، دفتر دوم، ابيات ٢٥٢٩-٢٥٢٨.

(٢) سورة الحجر، الآية ٣٩- ٤٠.

ووجد الجوهر الحقيقي».

اختر الشيخ فبدون الشيخ هذا السفر

كثيراً ما يكون مليئاً بالآفة والخوف والخطر

كل من سار الطريق بدون مرشد

فهو سيضله الغيلان ويقع في البئر

لا تدلل نفسك ولا تعتمد على أحد فإن كنت موسى وجب لك الخضر:

قال موسى قلل هذه الملامة

قلل من ضرب طريق الشمس والقمر

أنا أسير إلى مجمع البحرين

كي أصير مصحوباً منه سلطان الزمن

أطير سنين بالريش والأجنحة

سنين هي كآلاف السنين

أذهب يعني لا قيمة له فاعلم

لا تر عشق الأحباب أقل من عشق الخبز

الشيخ الأنصاري وإن كان قد طوى الطريق بدون أستاذ؛ ولكنه كان طالباً للأستاذ بحيث أنه عندما كان يعرف أشخاصاً مميزين كان يسعى في طلبهم، لكنه كان يشير بالكناية ويقول:

«ذهبنا ولكنه لم يكن من نريده نحن».

نعم! مرشده في هذا الوادي هو حضرة الحبيب، كما قال في حقه آية اللّه السيد علي القاضي الذي كان نادرة الدهر ووحيد العصر: «الشخص الذي تلقى علم التوحيد والمعرفة من المبدأ الإلهي الفياض بلا واسطة هو الشيخ الأنصاري، ونحن لا نعرف شخصاً آخر».

ولكن حذار! فهذا السير والسلوك ليس مقدوراً لأي شخص.

متى يصل كل خسيس من اللون والقول إلى هذا الطريق؟

وأخطار هذا الطريق ليست بالأمر القابل للبيان، فالسالكون وضعوا أقدامهم في هذا الطريق بمدد المرشد وأستاذ الطريق، ووصلوا إلى المقصد، والأشخاص الذين يبحثون عن الطريق مثله قليل، والضالون عن الطريق كثير.

«تشخيص النفسانية والأنانية صعب فيجب أن ترى الأستاذ!»

كيف لا

كل من اتخذ زاداً غيره

صار سخرية في المدينة والقرية

كل من سار الطريق بدون دليل

يصير كل يومي سير مائة سنة

كل من أسرع نحو الكعبة بدون دليل

يصير مثل هؤلاء العصاة الذليل

كالفاسد الذي سرق كنزاً[١]

يجد ماله الذي يكسبه

**الصياد في الكمين**

إذن يجب أن توضع اليد في يد المرشد والأستاذ الخبير، وليس كل مدع وعارف بالطريق فقطاع الطريق كثر والصيادون في الكمين، وبالأخص في هذا الزمان الذي يظهرون أنواعاً من العرفان المتلون والألاعيب المعنوية.

بما أن إبليس كثيراً ما يكون له وجه آدم

فلا ينبغي إعطاء اليد لكل يد

لأن الصياد يصدر صوت الصفير

كي يخدع الطير ذاك الصياد للطير[٢]

كان الشيخ الأنصاري يؤكد على لزوم الأستاذ ويقول:

«الطريق بدون أستاذ صعب جداً، ولكن من كان لديه طلب حقيقي فلن يبقى متحيراً. اللّه غيور ولا يترك الطالب. وأنا لو كنت أعرف شخصاً طالباً للتوحيد فسأذهب إليه في أي مكان كان من الدنيا».

وخلاصة الكلام أنه إذا لم تجد علماً ربانياً وأستاذ الطريق، فإن هذه النفس السيئة ستقود نفسها، ويكون الأمر خطراً.

---

(١) مثنوی‌معنوی، مولوی، دفتر سوم، ابيات ٥٩٠- ٥٩٣.

(٢) م.ن، دفتر اول، ابيات، ٣١٦-٣١٧.

جهنم هي هذه النفس جهنم الأفاعي

فهو لا يصيب البحار بالقلة والنقص

يشرب البحار السبعة ومايزال

لم يقلّ شوق ذاك الحلق المحترق[1]

الماء أيضاً يصرخ أين هو شارب الماء

وقد صدق هو في قوله إنه يأخذ بيد الطلاب في أي مكان من الدنيا. يقول أحمد الأنصاري: «هو كان ملتهباً بشكل دائم، ولم يكن يقر له قرار، فكان هو نفسه يذهب إلى الطلاب الحقيقيين. كان له أسفار لم نكن نعرف سببه، فقد سافر إلى الباكستان وأخذ عدداً من الرفاق معه، وكأنه تحمل في هذا السفر مشاكل كثيرة، ولم يكن الرفاق هناك يعرفون أي عمل لديه، وكان يقول لهم: لا تنشغلوا بعملي. ولكن لعله تحمل كل هذه المرارات من أجل أخذ يد عاشق مولع».

**قصة مرشد أحمد كوهكش**

ينقل علي الأنصاري قصة عن أخذ الشيخ الأنصاري بيد أهل الطلب فيقول: «كان لدينا صديق اسمه مرشد أحمد كوهكش لديه قصة جميلة. قال: ذهبت إلى طهران لزيارة شخص كبير، فأعطاني برنامج أربعين يوماً بأن آكل أربعين يوماً طعاماً خاصاً فقط مثل: خبز الشعير والماء، وأن أذهب إلى العتبات المشرفة

(١) مثنوى‌معنوى، مولوى، دفتر اول، ابيات ١٣٧٥ - ٢٣٧٦.

مشياً، وقال: كان لدي عباءة وكشكول، فحملتهما ومشيت في طريقي متوكلاً على اللّه، وفي مدة أربعين يوماً كنت أشرب الماء وآكل خبز الشعير فقط، إلى أن كشف لي الحجاب في إحدى الليالي، وقيل لي: يجب أن تذهب إلى زيارة شخص كبير في همدان. لم يكن لدي من مال الدنيا حتى دينار واحد. إلى أن بدأت في أحد الأيام بقراءة أشعار في صحن أمير المؤمنين علي - عليه السلام - بصوت عال واجتمع حولي جماعة وشك بي بعض الشرطة العراقيين وسجنوني. بقيت مدة في السجن ثم أطلقوا سراحي. بعد أن خرجت أحسست أن هناك شخصاً معي، وكان يقول لي أين أذهب خطوة بخطوة ودخلت إلى همدان، وذهبت إلى المسجد الجامع. فجلست إلى جانب جدار مسجد المدينة الجامع. بقيت هكذا إلى جانب جدار المسجد الجامع أدعو وأتضرع: إلهي! أليس لديك شخص واحد كي يأتي إلي يسأل عن أحوالي؟ أليس هناك شخص واحد؟ في تلك الحال وضع شخص يده على كتفي، فرأيت عالماً طويل القامة وقال: نعم، يوجد!. ناداني باسمي وقال: مرشد أحمد ضع هذا المال معك فعلاً، وتعال مساءً إلى السرداب الفلاني للصلاة.

أنا تعجبت من أنه ناداني باسمي. في الليل ذهبت إلى السرداب ورأيته هو نفسه يصلي. كان لديه روحانية عجيبة. عندما صليت وجدت أن هذه الصلاة تختلف عن كل الصلوات التي صليتها في عمري. بعد الصلاة خرجنا فأشار إلي سماحته وأخذني إلى منزله.

أنا بسبب كون رجلي وشكلي الظاهري متسخاً لم أرد أن

أدخل، ولكن الشيخ أشار إلي بعدها أن: تعال اجلس إلى جانبي! ذهبت وجلست، وكان لدي في تلك الليلة وضع عجيب حيث وجدت ضالتي. كان لدي خوف من أيام شبابي من الزورخانات، والمصارعات... بعد ذلك بدأ بذكر أمور عن السير والسلوك، وتبدل كل خوفي إلى شوق.

فيما بعد أعطاني غرفة صغيرة في منزله ومقداراً من المال كي أعمل به.

هو بقي يعيش في منزلنا مدة دام المرحوم والدي حياً، وتوفي بعد عدة أشهر من وفاة والدي...»

فلتحيا روحك يا من ضعت في العشق ووجدوك.

ميت كنت صرت حياً باكياً كنت صرت ضاحكاً

جاءت دولة العشق وأنا صرت دولة خالدة

**وطوبى للعاشقين**

وإن كنا أنا وأنت لا نجد، فلأننا حتى الآن لسنا طالبين، من أجل أنه حتى الآن لم يجعلنا العطش بلا طاقة، ومن اجل أننا لم نصر مجنون تلك الليلى وشيرين ذاك الفرهاد، وإلا فإن الله صادق القول ووفي:

«والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا و...»[1]

أنا لأنني لست كمجنون ليلى إلى ذاك الحد

---

(١) سورة العنكبوت، الآية ٦٩.

كي أكون ليلاه وحده

أنا بما أنني لست كفرهاد شيرين إلى ذاك الحد

كي أكون شيرينه وحده

**أخطار الطريق**

وإذا وجدت شخصاً قد سكر من عطر إلهه، وتعلقت بأذياله، فلا تنسى أن الشرط الأول هو:

إن وجدت الشيخ، حذار! فسلّم.

إذا كان نوع نظرة ومسلك الشيخ الأنصاري الهمداني جميل عندك، فاسع وراء أمثاله أو ابق في ظلاله الذين شعارهم: الصدق زاد السالكين، وعملهم كقولهم واحد، ولم يخرجوا عن جادة الشريعة بأي مبرر خادع.

هذا الجوهر إن حصلت عليه، الحذر الحذر من كسره!

**الثقة بالنفس وأخطارها**

جاء أحد الملازمين إلى زيارة الشيخ الأنصاري وقال أريد أن أذهب إلى العتبات المقدسة، قال الشيخ الأنصاري: لا تذهب هناك خطر عليك، إلا إذا كنت من أهل التوحيد. ظن هو أنه من أهل التوحيد وسافر. حصل له هناك بعض الكشف والشهود، وعندما عاد صار مدعياً لادعاءات. بعد عدة سنوات ترك الشيخ الأنصاري وتوجه نحو مسائل مثل طي الأرض وكسب القدرات الأخرى، لكن اصطدم بحائط مسدود وانتبه. عاد والتمس

واعتذر؛ لكن الشيخ الأنصاري قال له: نحن نحبك ولا مشكلة لدينا معك.

مهما كان الأدب والعفو من الكبار كثير؛ لكن إين ذهب أدبنا؟

الأنصاري الهمداني ولي للّه فيجب تسليم القلب له فهو خبير بآفات الطريق والوساوس الباطنية، فدعه يضع المرهم على جراح النفس القديمة، سواءً بترياقه أو بإبرته!

إن كنت من كل جرح تمتلئ غضباً

إذن أنى تصير مرآة بدون صقل

هذا الغرور والثقة بالنفس ومدح النفس الذي لا يدع الرأس يخضع للأدب، ولكن إذا وضعت اللجام عدة مرات على هذا الحصان الشموس يتأدب، وإلا فالخطر! الخطر! المهالك كثيرة والشيطان في الكمين، والنفس تنازع.

### لا تذم العرفاء في غيبتهم

يقول الأستاذ كريم محمود الحقيقي: «في إحدى المرات كنا في خدمته ـ قدس سره ـ في السفر، وفي اللحظات الأخيرة التي كنا نودع بعضنا كي نرجع بدأ بالكلام ونحن كنا خائفين من انقلاب الحافلة، لكنها لم تنقلب حتى وصلنا.

في ذلك اليوم قال لنا: إن تركتم هذا الطريق لا بأس! لكن لا تذموا العرفاء أبداً، وإن فعلتم تقعون في واد لا تنجون منه.

كان تأثير هذا الكلام بنحو أحس كل واحد منا بالخوف من كونه متوجه إليه. بعدها جئت أنا إليه بعيون باكية وقلت: هذا الموضوع لا يرتبط بي؟ قال: لا، ولأنني كنت خائفاً قال: من أجل دوام إيمانك اقرأ دعاء «آمنت باللّه» وكانت هذه إحدى وصاياه».

بعد هذه الحادثة تراجع شخصان وفتحا لهما دكانين في السوق، والتصقا بالأرض بشكل سيئ وهيئا أسباب سيطرة الشيطان.

من حديث الأولياء الناعم والثقيل

لا تخفي نفسك عنه فدينك خلفها مباشرة

قال حارّاً قال بارداً خذه جيداً

حتى تقفز من الحار والبارد ومن السعير

«العبد» أذكر أنه في إحدى المرات سحبت أحدهما جانباً وبدأت بالكلام والنصيحة له، ولكنه لم يقبل. في النهاية وضع يده في جيبه، وأخرج ديوان حافظ وقال: أرجو منك أن تتفاءل الآن من كتاب حافظ هذا، أنا لدي يقين أن طريقي صحيح. «العبد» توسلت باللّه إلى أن فتحت أن: إلهي أنت أعطه جوابه. ثم تفاءلت، فجاء عزل مطلعه:

في زقاقك كل من سار بالملامة

لم يفلح عمله وفي الآخر سار إلى الخجل

## الملبين للشيطان

هذه الصاعقة ليست هي فقط التي أصابتهما، بل هو فخ دائم يطلب طريدة، والمسكينان صارا من الملبين للشيطان ومصداق الآية:

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾[١]

وينتهي الحال إلى هذا الشؤم عندما عندما تصير النفسانية والأنانية حائلاً في الطريق ومانعاً من المقصد. والإنسان بدل عبادة اللّه يصير عابداً لنفسه، ولا يعود حاضراً للتسليم مقابل التعاليم السماوية وسماويي السر، وحقيقة هم:

﴿وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾[٢]

ينقل علي الأنصاري عن الشيخ الأنصاري قوله:

«من الامتحانات الكبيرة والأخطار التي تواجه السالك هي أنه يسيء الظن ببعض علماء الشريعة. فيجب على أهل المعرفة أن لا يكون لديهم أدنى غل وغش للكبار».

## ضبط هوى النفس

في هذا المجال الأمان من البيض هو نصف القلي!

هذا الكلام من الشيخ الأنصاري للأشخاص الذين يأتون ولكنهم لا يأتون بشكل جيد، وفي النهاية يصيرون مثل البيض

---

(١) سورة طه، الآية ١٢٤.

(٢) سورة البقرة، الآية ٧٩.

الذي لم يتبدل إلى فرح فيفسد. وما يفسد لا يتحمله أهل الأرض ولا أهل السماء! فحذار من هذا الخطر حذار!. وطريق عدم الابتلاء والأمان هو ضبط هوى النفس وأهواءها، والخطوة الأولى هي أن تدرك أن المعرفة هي نصف العلاج.

كان كبير يقول: كنت في النجف مشغولاً بالزيارة، فجاء طالب علم وقال: لقد مات الميرزا الشيرازي الليلة الماضية فتعالوا لتشييع جنازته. أنا كنت أزور فأحسست بفرح في فقلت في نفسي: ما هذا المرض الذي في روحك؟ مات عالم كبير فتفرح أيها المسكين؟! دققت في نفسي فرأيت أن سببه هو أنه لا أحد بعده ليخلفه غيري.

فيما بعد جمع حوائجه وفر من المدينة».

إلهي! في هذا التيار الجارف وفي أسر النفس المستكبرة نستجير بك، ونسألك متألمين ومضطرين:

من تناقضات القلب انكسر ظهري

حبيبي تعال امسح يدك على رأسي

لا ترفع ظللك عن رأسي

لست مستقراً لست مستقراً بلا قرار

# الفصل التاسع

# السيرة الأخلاقية

**لا يصل أحد إلى حسن وحلاوة حبيبنا...**

**بحسن الخلق والوفاء لا يصل أحد إلى حبيبنا**

قال علي- عليه السلام -: «فمن تخلق بالأخلاق فقد صار موجوداً بما هو إنسان دون أن يكون موجوداً بما هو حيوان فقد دخل في الباب الملكي الصوري ليس له من هذه الغاية معبر»[1].

والشيخ الأنصاري هو ملاك في صورة إنسان، فما ينقل عنه هو الرحمة واللطف والمواساة والسخاء والمداراة والكرامة وسبب كل هذا العشق والعشق. طهر وجوده بدم الكبد؛ كي يصير لائقاً بمحضر المعشوق. نعم، هو من أتباع من هو «رحمة للعالمين» الذي كان دائماً يأخذ بيده ويقدم الرحمة والمحبة هدية لعيال اللّه. نحن هنا سندرس سيرته الأخلاقية الفردية والعائلية، كي تكون أخلاقه وأفعاله وحركاته نموذجاً لحياتنا.

---

(١) رسالة لقاء اللّه، ص ٢٦.

## الأخلاق الفردية

الشيخ الأنصاري الهمداني عاش عمراً مع اللّه وللّه، وقلبه متعلق فقط بوجه القمر، الذي يفرح القلب بلطفه ويزيل الغم. فهو لم ير الدنيا أكثر من سراب، ولم يعلق القلب بها وعلمنا أنه:

في هذا المقام المجازي لا تأخذ غير الكأس

في هذا العالم الصغير لا تلعب لعبة غير العشق

رأى الشيخ الأنصاري اللّه عظيماً، وبسبب ذلك لم يستعظم في نظره أي شيء غير اللّه. جعلته عظمة الخالق مضطراً للخضوع والتعظيم أمامها، وجعلته متواضعاً.

يقول السيد أفراسيابي: «لقد كان سماحته متواضعاً جداً، وكان الضيوف يأتون إلى منزله يبقون من ثلاثة أيام إلى شهر أو شهرين، وكان سماحته يخدمهم، ولا يترك أحداً يقوم بأي عمل. لقد كان عادياً جداً، وعندما كان يدخل لا تعرف من هو. لم يكن يعطي عمله لأحد. حتى عندما كان طلابه وضيوفه يأتون من المدن، كانت عائلته تجمع ألبستهم وتغسلها. كانت كل أعمال الضيوف على عهدة عائلته».

الغرض أنه لم يكن يعطي لنفسه أي تمييز، كانت حياته بسيطة وبدون تميز وتشريفات. ونقل عن المرحوم الدولابي أيضاً أن سماحته لم يكن يسمح لأحد في منزله أن يحمل له حتى كوباً من الشاي، فكان هو يحضر الشاي ويضع السفرة. نعم لقد كان تواضعه غير متوقع وبدون تكلف ونادراً.

بالحسن والخلق والوفاء لا يصل أحد إلى حبيبنا
أنت في هذا الكلام لا يصل إلى إنكار عملنا.

يقول أحمد الأنصاري عن أحوال معيشته وتأمين رزقه: «هو مع أنه كان مجتهداً وكان له مقلدون، ولكنه لم يكن يستفيد من الحقوق الشرعية، وكان يقول: الاستفادة من الحقوق مشكلة. لقد كان لديه بعض المعاملات الملكية وشراء وبيع الأثاث، وكان لديه غنم سلمها لشخص كانت تؤمن لنا مصاريفنا. الحقوق التي كان يأتي بها أشخاص كان يرسلها إلى قم أو مشهد أو إلى النجف. وكان يعطي إجازة بالبعض أن يعطيها الشخص الذي أحضرها إلى عمته أو إلى الزقاق الفلاني والمكان الفلاني الذي لم يكن أحد قد أخبره به».

نعم، كان الشيخ الأنصاري نموذج كلام علي - عليه السلام - لكميل يقول فيه:

«صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحل الأعلى».

كان سماحته يتكلم مع عائلته ويلاعبهم ويأكل معهم ويتابع شؤون الحيات كبقية الناس، لهذا لم يكن ظاهره يختلف عن الناس العاديين؛ لكن روحه جليس الله. ومن جالس الله كان الله جليسه ويخاطبه:

«أنت كنت ببدنك في الدنيا، وروحك معي...هذا جواري فاسكنه»[1].

---

(١) رسالة لقاء الله، ص٤٤، حديث معراج المؤمن.

### الأخلاق العائلية

ذاك الحبيب الذي كان بيتنا منه مكان العروج

من رأسه حتى قدمه كالطائر البريء من العيب

الشيخ الأنصاري لم يكن من جنس أهل التراب، هو محشور مع الملكوتيين.

الملائكة تبحث عنه وتشمه

نعم الشيخ الأنصاري لم ينطلق للعلم فقط، أو نحو العبادة وإحياء الليل والمعنوية فقط، فقد كان إنسانا كاملا، ليس في العبادة فقط، بل كان كاملاً في العلم، كاملاً في العمل وكاملاً في الأخلاق، وكان في الواقع صاحب علم حقيقي.

«ليس العلم في السماء فينزل إليكم ولا في الأرض ليصعد لكم بل هو مجبول في قلوبكم، تخلقوا بأخلاق الروحانيين حتى يظهر لكم»[1].

نعم العلم الواقعي هو العلم المرافق للتزكية والتهذيب، الذي لا يمكن إيجاده لا في السماء ولا في الأرض، بل هو مكنون في القلوب، فيجب أن يتحلى بأخلاق الروحانيين والسماويين كي يظهر العلم.

### احترام ومحبة الوالدة والزوجة

يقول أحمد الأنصاري ابن الشيخ الأكبر عن أخلاق والده

---

(١) م.ن.

العائلية: «كان والدي رحيم جداً مع أمه، وكان يعاملها باحترام، وكانت والدته راضية منه. توفيت بعده بأربع سنوات عام١٣٤٣هـ. ش، ودفنت قرب قبر الشيخ في قم.

وكان والدي يعامل والدتي بلطف ومحبة، ولم يكن يدعها يحس بالنقص. وكان يأخذها معه إلى المجالس، وكان يقول لها: إن كنت تريدين شيئاً فقولي، فلا يحصل أن تكون لديك حاجة ولا تقولي لي، فأنا لا أرضى أن لا تقولي.

كان يعامل أقرباءه وأرحامه بمحبة، وكان يذهب لحل مشاكلهم».

وتقول فاطمة الأنصاري: «كان يحترم والدته كثيراً ويقبل يدها، ويقول لها: ارضي عني».

لقد كان بلطف الشمس وسعة السماء وزلال الماء. كان الشيخ الأنصاري حلالاً لمشاكل الكل، ولا تذكره أمه وزوجته وأولاده إلا بالخير.

أيها المسلمون عندما يكون لي قلب

لأحكي له عن كل مشكل

قلباً مواسياً وصاحب يرى المصلحة

فهو كان استظهار كل أهل القلب

ويقول المرحوم دولابي عنه ـ قدس سره ـ: «لم يكن يدع أحداً في المنزل يحمل له كوباً من الشاي، كان يحضر الشاي بنفسه، ويضع

السفرة. كانت زوجته السابقة مريضة، كانت رجلها تؤلمها، ولم تكن تستطيع أن تعمل في المنزل، ولكن لم يكن الشيخ يظهر ذلك. كان والداها يريدان أن يأخذانها، فرفض؛ لأنه كان يعلم أنها إذا أخذوها كانت ستصير مقعدة في المنزل، فأبقاها حتى توفيت. لم يكن يتعب زوجته الثانية، وعندما كنا في المنزل كان يقوم بكل الأعمال بنفسه، وكان يطبخ لنا الطعام.

كانت صفاته وأخلاقه جميلة جداً، وكانت خدمته إحدى الصفات التي جذبتني».

الشيخ الأنصاري من أهل الجنة، ولديه صفات أهل الجنة، ولم يكن أحد يحس معه بالتعب والملل.

**العطف واللطف في خدمة الأولاد**

تقول فاطمة الأنصاري عن خدمته لأولاده:» كان والدنا عطوفاً جداً كباقي الآباء. ماتت أمنا في سن ٢٥ سنة، وانتقلت إلى رحمة الله، كان سماحته يساعدها في أعمال المنزل. عندما كنا نصوم كان يصنع لنا الإفطار، ونحن لأنه كان يصنع لنا الإفطار كنا نصوم بشوق. كان هو يبقينا مستيقظين في الليل ويطلب منا أن نأكل الفاكهة، كي ننام في النهار ولا يكون الصيام صعباً علينا. كان يهتم بأمور الحياة جداً وفي مجال تأمين لوازم منزله كان هو يشتري وسائل ولوازم المنزل، كان يشتري الفاكهة في السل ويضعها وسط الفناء ويقول: كلوا حتى تشبعوا. كان يسعى أن لا يكونه لدينا أي نقص. مع كل المشاغل التي كانت لديه كان

يجمعنا ليلاً مدة عشر دقائق ويتكلم معنا. ولأنه كان طبياً ماهراً كان هو يتولى طبابتنا. بعد وفاة أمي اختار امرأة ثانية، ومع أننا كنا في نفس المنزل إلا أنه لم يكن لدينا أي مشكلة ـ الحمد للّه ـ.

كان يفكر بنا دائماً ماذا نأكل، أين نذهب. كان يمضي الليل بالصلاة والذكر، ونهاراً يقوم بأعمال المنزل. علمنا أن يكون لدينا تسليم ورضا. كان عمري ١٧ سنة عندما مات ـ رحمه اليه ـ، أنا ممتنة له جداً!»

نعم، الأوقات الجميلة كانت تلك التي مضت مع الحبيب

والشيخ الأنصاري كان يحب اللّه واللّه أيضاً يحبه، وجعله محبوب القلوب في الأرض والسماء.

### الرفق بالحيوان

يقول أحمد الأنصاري: «كان والدي رحيماً جداً حتى بالحيوانات، كان في البداية يطعم الأغنام ثم القطط، بعدها كان يذهب ويأكل. في إحدى المرات عندما جاء من الصحراء إلى المنزل أحضر عدداً من الجراء التي كانت أمهم قد ماتت، قال يجب علينا أن نهتم بها. ذهب واشترى قناني الحليب وسقاها إياها، إلى أن كبرت الكلاب فاطلقها».

### التفكير بالمستقبل

يقول أحمد الأنصاري: «كان سماحته يهتم بجزئيات وعموميات حياتنا، حتى في الزواج، فقد كنت قد اخترت زوجة

لأول مرة بالنسبة لي، عرف سماحته وقال هذه الزوجة ليست جيدة، وسيكون نصيبك الشقاء في الدنيا والآخرة، فاخترت زوجة أخرى».

«كان يصر علينا كثيراً أن لا ننسى اللّه في جميع الأحوال، وكان يقول: اعلموا أن والدكم وأمكم وأقرباءكم كلهم موجودون إلى مدة ما، ولكن كونوا لمن هو من ناحية الزمان والمكان غير محدود، فكلما كان إخلاصكم له أكثر، تحل مشاكلكم. كان يقول كثيراً: فليكن اعتمادكم وارتباطكم باللّه.

نعم! كان أسلوبه مع عائلته جيداً جداً، وبعيد الأفق. لقد كان لدى سماحته إدارة تستحق الاحترام، كان يقول لي مرات عديدة: انتبه لبرنامج حياتك. وبالنسبة لدراستنا كان يتركنا نكمل علمنا نحن الصبية كاملاً، ويقول: يجب أن تنتبهوا ليومكم، ولكنه كان ينهانا عن العمل في المراكز الحكومية؛ لأنها كانت في ذلك الوقت تحت سيطرة السلطنة. وكان يقول للبعض: استقيلوا فإن عملكم ليس له عاقبة جيدة. كان يشركنا في الأعمال، ويقول: أنا لا أريد أن أستفيد من أفكاركم، بل أريد أن أعطيكم الرشد، وكان يبين أخطاءنا، وينبهنا إلى صداقاتنا.

أما بالنسبة إلى البنات فكان يحضر المدرس إلى المنزل؛ لأن المدارس في ذلك الوقت في همدان لم يكن التدريس فيها على أساس الأصول الشرعية، وكان يدقق جداً في اختيار الزوج لهن».

## تعليم الفرائض والواجبات

يقول أحمد الأنصاري: «كان يعلمنا بنفسه كل الفرائض الدينية، حتى أحكام البلوغ، وكان يصحح قراءتنا للحمد والسورة. كان يقول لي: لا تترك الصلاة أول الوقت، قلت: لماذا؟ قال: هي إسقاط للتكليف، وفيها فضيلة أيضاً، طبعاً أنت لا تصلي من أجل الفضيلة، بل ليكن قصدك التقربّ!»

كان يقول: «صلّ النوافل وإن لم يكن لديك فرصة فصلّ حتى حال السير».

## وصاياه

تقول ابنة الشيخ الأنصاري:» منذ البداية ربّانا بنحو لا نخاف إلا من اللّه فقط. كان يعطينا هدايا بسبب أعمالنا الحسنة. كان يقول لنا: لا تكذبوا، لا تستغيبوا، لقد كان رجلاً جيداً يخاف من اللّه كثيراً.

لقد كان والدنا إنساناً جيداً جداً. عندما كبرنا وصرنا نعيش في المجتمع فهمنا أكثر. كانت جدتنا تقول لنا: والدكم مختلف عن الجميع.، لم يكن يحكم على الآخرين بسوء. كان يقول: يجب أن تحكموا على الآخرين بشكل حسن، ويقول: الظلم معصية كبيرة، ويقول: لا تظلموا من هم تحت يدكم. إن كان من تحتكم زوجة، أولاد فانتبهوا، ولا تظلموهم. إن ظلمتم تنالون جزاءكم. وكلما كان يحصل لنا مشكلة ونبكي، كان يقول: انظروا يا أبي ماذا فعلتم؟ فتوبوا!. عندما تناموا فكروا وانظروا أي معصية

وذنب فعلتم، وكم عمل حسن فعلتم. كان يقول: اللّه جميل جداً ولكنه شديد العقاب أيضاً، فانتبهوا إلى أعمالكم.

كان لدينا عمة تعيش في عبادان، جاءت إلى بيتنا، وحصل بيني وبين ابنة عمتي نزاع، وفي سن الطفولة قلت في نفسي رضى اللّه في أن أذهب وأصالحها. ذهبت وصالحتها، وعندما جاء أبي قال: تصالحتم، فخجلت».

الظلم نار تدمر البيوت، والوجود الملوث بالظلم كيف ينال نور اللّه. كان يقول: ما لا ينسجم مع طريق السير والسلوك هو الظلم لمن هم تحت أيدينا، وأساس جميع المفاسد هو الظلم.

ويقول الدكتور علي الأنصاري: «لقد كان حساساً جداً لهذه المسألة، فأحياناً يتألم عندما كان أحد أطفاله في سن الطفولة ينازع أو يضرب أحداً، لأنه لم يكن يريد بأي نحو أن ينمو أساس هذا الظلم، وكان يؤكد على هذه المسألة جداً بأن تكون العلاقات حميمة وحسنة جداً».

وتقول السيدة فاطمة الأنصاري: «كان يقول لنا: كونوا مسلّمين وراضين في كل الأحوال، فكل ما أراده اللّه لكم فهو حسن. علمنا أن نطلب بقدر حاجتنا، ونحن الآن كذلك. نطلب من اللّه بقدر حاجتنا».

## الفصل العاشر

# السيرة الاجتماعية

### أنت من مكارم الأخلاق عالم من الذكر...

### العلاقات الاجتماعية

نعم! كان الشيخ الأنصاري الهمداني مصداق حديث الإمام الصادق- عليه السلام -:

«جسمهم مع الخلق وسرهم مع اللّه»

يعني أنه في حال أن لديه في الباطن معاملات خفية مع اللّه؛ إلا أنه كان جسمه مع الناس وبينهم. لقد كان ظاهره وباطنه مشغولاً بالطاعة والعبادة، لقد كان عبداً بكامل المعنى.

ولم يكن الشيخ الأنصاري أسوة في الأخلاق العائلية فقط، بل كان قدوة أيضاً في الأخلاق والسيرة الاجتماعية. لم يكن آية اللّه الأنصاري في مقابل المجتمع ومسائله دون اهتمام، فلم يختر هو العزلة، ولا أمر تلاميذه بالعزلة، فالإسلام ليس دين الرهبانية.

**معالجة يهودي**

يقول الحاج إسلامية صهر الشيخ وتلميذه: «لقد كان سماحته اجتماعياً، فقد كان هناك شخص يهودي مرض ولده، وعجز الأطباء عنه، لكنه عندما جاء به إلى عند الشيخ عالجه».

**معارضة تغيير لباس العلماء**

يقول الدكتور علي الأنصاري: «في قضية تغيير لباس العلماء وقف والدي بشدة أمام هذه المسألة، حتى أنه قال لضابط الشرطة الذي واجهه: أنتم ليس لديكم القدرة على إهانة العلماء».

**معارضة منع الحجاب**

ويقول الدكتور علي الأنصاري:» في قضية منع الحجاب أيضاً عندما دعى السيد أبو القاسم اللواساني العلماء للقيام ضد هذه القضية حضر هو والشيخ هادي التألهي الهمداني في تلك الجلسة».

ويقول السيد علي محمد دستغيب: «في مجريات منع الحجاب، هددت امرأة من الإنكليز في زمان رضا خان، فضرب سماحته رأس الإنكليز بعصاه، ففروا».

كان قائده العشق... ولم يكن الشيخ جواد الأنصاري يرفع يده عن رجله خطأً، فهو مصداق رواية الإمام الصادق- عليه السلام - :

«... ولا نطق ولا إشارة ولا نفس إلا للّه وباللّه ومع اللّه».

كل كلامه وكل إشارة منه وكل قوله من اللّه ومع اللّه ومن أجل اللّه، ولم يكن هوى النفس له دخالة فيه. كان يسير في كل مكان في طريق الهداية المستقيم، وكان يعمل من أجل رضا اللّه.

**خدمة الخلق**

لم يكن الشيخ الأنصاري يهدأ ويقر لحظة، كان يسير في طريق رضا محبوبه، ولم يكن يعرف التعب.

أهل الترف والدلال ليس لهم طريق إلى زقاق الهيامى

السالك يجب أن يكون صاحب حرقة للعالم لا بسيطاً بلا غم

الخلق عيال اللّه والشيخ الأنصاري لا يستطيع أن يضع رأسه على الوسادة، وجاره جائع. يقول أحمد الأنصاري: «كان يحصل مرات عديدة أن نجلس على السفرة ويقول سماحته قم حتى نأخذ الطعام إلى بيت الفقير الفلاني!

في ليالي شهر رمضان أيضاً كان سماحته بعد وفاة والدتي يصلي المغرب والعشاء في المسجد، ويأتي سريعاً إلى المنزل. في إحدى الليالي كنا نجلس إلى جانب السفرة للإفطار، اهتز فجأة وقال: قم وضع هذا الطعام في وعاء لنخرج إلى الخارج. أنا قمت وحملت وعاء الطعاموذهبت معه أيضاً. كنا نعبر الأزقة إلى أن وصلنا إلى منزل خرب فيه أب وأم أعميان مع أطفال وصبية ولم يكن لديهم إفطار، فوضعنا أوعية الطعام هناك، واعطاهم والدي مقداراً من المال، ورجعنا».

يقول المرحوم الدولابي:» كان اهتمام الشيخ بأعمال الخير، كان يقول تكراراً أفضل الأعمال لوصول إلى قرب اللّه خدمة الخلق، وهم الخلق الذين يتوجه اللّه إليهم، وهم الأشخاص البارزين المرضيين لديه، وإن لم يكونوا موجودين فالآخرين هم براعم زرعهم اللّه بيده».

يا قصة الجنة من زقاقك حكاية

هو عاشق وعلم العشق ليس في كتاب أو دفتر، وعاشق اللّه يحب كان ما له ارتباط ونسبة لمعشوقه، وهذا كلام مولى الصادقين- عليه السلام -:

«إن اللّه عز وجل خلق خلقاً من خلقه انتجبهم لقضاء حوائج فقراء شيعتنا ليثيبهم على ذلك الجنة، فإن استطعت أن تكون منهم، فكن...»(١)

نعم أيها العزيز! إن استطعت أن تكون منهم فكن!

**مواجهة المخالفين**

«... فتقول الروح إلهي عرفتني نفسك فاستغنيت بها عن جميع خلقك وعزتك وجلالك لو كان رضاك في أن أقطع إرباً إرباً وأقتل سبعين قتلة بأشد ما يقتل به الناس لكان رضاك أحب إلي ...»(٢)

(١) أصول الكافي، باب قضاء حاجة المؤمن، ج٣، ص٥٧٥.

(٢) م. ن.

حقاً ماذا أدرك أمثال الشيخ الأنصاري عن معرفة اللّه حتى استغنوا عن خلقه، وكيف ذاقوا حلاوة وطعم رضا اللّه حتى لم يخافوا بسببها من كل شدة وصعوبة، ولم ينحنوا حتى وإن قطع بدنهم قطعة قطعة، أو قتلوا سبعين مرة. وأي رضوان هو «رضوان من اللّه أكبر»، الذي لا يقبل ثواب ونعمة وراحة وسعادة القياس معها، وتكون نتيجتها رفع الحجاب، كما في الحديث القدسي:

«قال اللّه عز وجل وعزتي وجلالي لا أحجب بيني وبينك في وقت من الأوقات حتى تدخل علي اي وقت شئت، وكذلك أفعل بأحبائي»[1].

حلاوة طعم رضا اللّه سبحانه هي عدم وجود مسافة بين العاشق والمعشوق، وهي كانت تدفع الشيخ الأنصاري لكي ينظر إلى المخالفين بعين الآيات والأسماء الإلهية، ويرى الخلق جميعاً مرآة ومظاهر معشوقه، ولهذا السبب كان دائماً في حضور ربه، ومسالماً للصديق والعدو.

نعم!

العشق سلم للكل والباقي كله نزاع وجدل

وعلى أساس هذا النظرة، كان يعامل حتى الأشخاص الذين كانوا يتهمونه بالتصوف باللين، يقول المرحوم الدولابي:» عندما كان أسلوب بعض الأشخاص مع الشيخ كانوا يأتون لرؤيته،

---

(١) م.ن.

وكان الشيخ يأتي ويجلس أمامهم بأدب، ويحترمهم، ويصنع لهم الطعام بنفسه ويصنع لهم الشاي ويصبه. أنا لم أر شخصاً كبيراً يستطيع أن يتواضع بهذا القدر، والآن أيضاً لم أره. أنا رأيت بعض أهل العلم الذين كان لديهم إشكال عليه يأتون ويتكلمون ساعتين والشيخ خافض رأسه. في النهاية قالوا نحن تكلمنا كثيراً وأنت لم تقل شيئاً، قال: الأمور التي كنت اريد أن أقولها ذكرتموها أنتم، ويذهبون وهم مدينون له. كانوا يتحدثون ساعتين ويكون الشيخ ساكتاً! وأحياناً كان شخص يرد كلامه على المنبر، ويورد إشكالا على مسلكه، فلم يكن يقوم من المجلس، ويبقى جالساً هناك، بل كان يفرح».

ويقول الحاج إسلاميه عن مخالفة الحوزة له:» جو الحوزة كان مخالفاً له، وكان الآخوند الملا علي المعصومي لديه ارتباط خفي معه. في أحد الأيام عندما كان الشيخ يمر، رأى الملا علي مع الطلاب، فسلم وتابع سيره، فقال الآخوند للطلبة: قولوا له ليشرفنا ببقائه، ثم قال للشيخ فيما بعد: نحن لا نأتي لخدمتكم وقليلوا الحظ، فقال الشيخ: نحن نهتم بكم، وفي المساء قال: هو شخص سليم النفس، وهو شخص جيد لإدارة المدينة، وإذا جاء إلينا يطردونه. كذلك إذا أراد الشيخ أن يرتبط به يوجد فيه انقلاباً روحياً ولا يبقى هناك أحد لإدارة المدينة. وفي مواجهة المخالفين أيضاً عندما كان بعض من حوله يريدون مواجهة الأشخاص الذين كانوا ينسبون إليه السحر والتصوف، كان يقول: لا تعملوا لهم شيء، اتركوهم يسيرون في طريقهم. كان يقول أول خطر على السالك هو أن يسيء الظن بعلماء الظاهر

الذين يروجون الشريعة! فهذا أول خطر على السالك. لأن هؤلاء مراجع الشريعة، ويجب أن نحترمهم. مع أنهم كانوا غالباً يجافون هذا الشيخ الكبير؛ ولكن نحن كنا نصلي خلف أولئك الذين لم يكونوا جيدين معه بسبب مدحه لهم».

نعم هذه هي الولاية الحقيقية التي كانت لدى آية اللّه الأنصاري الهمداني، وكان يعبر عنها مرات:

«سلم لمن سالمكم وحرب لمن حاربكم موال لكم ولأوليائكم مبغض لأعدائكم ومعاد لهم»[١].

ملاك المحبة والعداوة والحب والبغض ليس ذاته ونفسه؛ كي يحب من يحبه ويبغض من أبغضه. هو لم يكن يدعو الناس إلى نفسه. هو كان يعتقد بالولاية التي توصل الإنسان إلى اللّه، وهدفه كان رضا اللّه سبحانه، ولم يكن يفكر بغير اللّه تعالى، وكان يقول:

قطعت القلب عن الجميع وجلست عند رجليك

كان غريب هذا العالم كل من صار عارفاً بك

ما الحاجة حتى أطوف الكعبة كالمحتاجين

يضع تاج الشرف على الراس سائلك الفقير

وصلت يد همتي إلى ذيل ولائك

---

(١) الزيارة الجامعة الكبيرة.

باتجاه عرش بوريا يصلي خسروي

أنت الأمير القوي وأنا الضعيف العاجز

اضرب مهما ضربت فرضاي هو رضاك

«رضا برضائك وتسليماً لقضائك لا معبود سواك...»

## الفصل الحادي عشر

# السيرة التوحيدية

### من كل شيء غير الحبيب أستغفر اللّه

### الموحد الخالص

القلم من العشق ينكسر لأنه يكتب علامتك

كم هو صعب الكلام عن السيرة المعنوية والتوحيدية التي هي بحر غارق ومنغمر في الجذبات الإلهية. وكم هو صعب السير في سلوك العالم المجتهد والمجتهد العاشق والعاشق العارف والعارف الذي يضحي بنفسه دفعة واحدة مخلصاً، وفني في اللّه، وعندها يرجع من ذاك عالمِ الوحدة الأثيري إلى دنيا الكثرة الظلمانية، كي يكون مرشداً لسالكي الطريق والسائرين.

في كل نفس له معراج خاص

يضع على رأسه الحق التاج الخاص

وجهه على التراب والروح في اللامكان

لامكان فوق وهم السالكين

لامكان لا يأتي إلى وهمك

كل نفس منه يزيدك خيالاً

بل المكان واللامكان في حكمه

كما في حكم الجنتي الذي يفتش عن الحل[1]

أما من ينظر من الأسفل وهو محبوس في بئر نفسه الظلمانية، فكيف يستطيع التحدث عن عظمة إشراق وحرارة الشمس؟ فالشمس فقط هي التي تستطيع أن تصف الشمس:

الشمس فقط هي دليل الشمس

وهذا الجبل العظيم من التوحيد، وسلطان العرفان آية اللّه القاضي الطباطبائي هو الذي يستطيع وصف هذا الموحد الخالص والخمر التي لا غول فيها حيث يقول: «الشيخ الأنصاري هو الشخص الذي أخذ التوحيد مباشرة من المبدأ الإلهي الفياض وأدرك هذه العوالم بدون استاذ وتعليم وتربية».

أنا كالشمس غارق في النور

أنا لا أعلم كيف أفرق نفسي عن النور

نعم! هذا السيل الذي لا قرار له والموّاج وهذا الكأس المليء اتصل في النهاية ببحر الأحدية بعد طي مواطن ومنازل كثيرة الجبال والوديان، واتخذ منزلاً في محيط الوحدة.

---

(١) مثنوى معنوى، دفتر أول، ١٥٨٣-١٥٨٠.

«رب أدخلني في لجة بحر أحديتك وطمطام يم وحدانيتك...»[١]

أضرب الجناح في هوى عشقه حتى العرش الأعلى
متى يعبر عشق أحباب العش في أرضي
الفاني إن كان شمع وجهه طالباً للفراش
أنا أختار الاحتراق بنار زقاق العشق[٢]

وهو في الحقيقة كان فانياً!

**الفناء**

كتب سماحته مقداراً عن حياته وأحواله في حاشية كتاب أسرار الصلاة، يقول فيها:

«التقيت بسيد محترم اسمه السيد محمد وسألته عن بعض المسائل، فامتنع عن الجواب، فأصررت فطلب مني وعداً أن أدعو له فوعدته. سألته عن حالة الفناء فأجاب: بعد أربع عشرة سنة، قلت: هل تكون أقل؟ فقال: ينتهي بين أربع أو خمس سنوات مع التوسل والرياضة».

دائماً باحث عن عرش اللّه
فإذا جاء اللّه يصير الباحث لا
وإن كانت تلك الوصلة بقاء في بقاء
لكن منذ البداية ذاك البقاء هو في الفناء

---

(١) مفاتيح الجنان، دعاء السيفي الصغير.

(٢) الشيخ محمد جواد الأنصاري، المتخلص إلى الفاني.

الظلال التي هي طالبة للنور

تصير لا شيء عندما يصير نورها ظهور

متى يبقى العقل لأنه يكون ستره

كل شيء هالك إلا وجهه(١)

نعم! حقاً الفاني لم يكن تخلص المرحوم الأنصاري، بل كان تخلقه، بل هو أعلى، لقد كان علناً وبدون خوف تحقق كلة «الفاني».

اظهر بالفاني من كرم نظرة واحدة من هذا الحبيب

فذاك المحترق في طريقك صار مقتولاً ومهجوراً

**التنزل من مقام الفناء من أجل الهداية**

ينقل الحاج إسلاميه عن الشيخ الأنصاري أنه كان يقول:

«إذا وصل شخص إلى الفناء وأراد اللّه تعالى أن يجعله هادياً للآخرين، ينزله من ذلك العالم. عالم الفناء هو عالم لا يعود فيه الإنسان هو نفسه، بل يسير في الملكوت. ولكن عندما يتنزل من أجل الهداية والإرشاد، يكون قلبه متوجهاً إلى العالم الأعلى ولديه توجه إلى الأوامر والنواهي؛ ولكنه يستطيع أن يأنس بالناس. الأنبياء والأولياء تنزلوا إلى الأرض حتى استطاعوا أن ينسجموا مع الخلق، وأن يهدوا أفراد البشر».

أي شخص ما لم يصير هو فناء

(١) مثنوى معنوى، دفتر سوم، ابيات ٤٦٦٢-٤٦٥٨.

ليس له طريق إلى عرش الكبرياء

ما هو معراج الفلك هو العدم

فالعاشقون مذهبهم ودينهم العدم(١)

**من المقامات التوحيدية**

أما أحواله التوحيدية فلم يكن لها ظهور خاص، وكان كتوماً جداً. أحياناً كان بعض الأشخاص العارفين بجزر ومد هذا المحيط يسألونه أسئلة، ويتعرفون على بعض أحواله، فيقولون الشيخ الأنصاري بحر...

«في إحدى المرات في إحدى الجلسات التي كان الكلام فيها عن النور سأل السيد عبد الله الفاطمي: سيدي! هل هناك مقام ما وراء النور؟ قال: نعم، قالوا: أي مقامات؟ قال: يجب أن تذهب لترى. وفيما بعد عندما قام هز رأسه وقال: ألم يقرأ المناجاة الشعبانية:

«إلهي هب لي كمال الانقطاع إليك وأنر أبصار قلوبنا بضياء نظرها إليك حتى تخرق أبصار القلوب حجب النور...»

إلى أين؟ هناك المكان الذي لا طريق له

لا شيء غير سنا البرق قمر الله

بعيد عن كل الأوهام والتصورات

نور النور نور النور نور النور(٢)

---

(١) م.ن، دفتر ششم، ابيات٣٣-٢٣٢.

(٢) م. س، دفتر ششم، ابيات٢١٤٦- ٢١٤٥.

لم يكن في جلساته أي خبر عن المباحث العرفانية الغامضة والاصطلاحات الغريبة. هو كان غارقاً بالله وكانت هذه خصوصية جلساته. كان يغير الناس وكان هذا التحول من ناحية أنه كان يوجه الناس نحو حقيقة الله سبحانه، الذي هو مع الإنسان دائماً وهو يقول:

﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾(١).

لم يكن يرَ أي وسيلة للعالم والعابد للوصول إلى التوحيد الخالص غير طريق تزكية النفس، فكان نعتقد بذلك ويقول: «إذا كان العلم مقدمة للتزكية وهي مقدمة للوصول إلى التوحيد، عندها يكون له قيمة، وغير هذا يكو العلم حجاب الطريق».

يقول الشيخ نجابت نقلاً عن الشيخ الأنصاري أنه كان يقول: «ليت التوحيد الخيالي لم يكن نصيب الناس». كما قال إمام العارفين علي ابن أبي طالب- عليه السلام -:

«التوحيد أن لا تتوهمه»(٢).

ويقول الشيخ نجابت: «كنا في خدمة السيد القاضي، البعض كان لديهم كتاب في التوحيد ويريدون أن يأتوا إلى خدمة سماحته وأن يتكلموا بهذا الموضوع؛ لكنه السيد القاضي قال: ظاهره جيد ولكنه خيالي، والله سبحانه أعلى من ذاك الشيء الذي تفكر فيه وتقوله، هذا التوحيد مانع للسادة».

---

(١) سورة ق، آية ١٦.

(٢) نهج البلاغة، الحكمة ٤٧٠.

نعم! ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾[١]

ما هو التوحيد الحقيقي؟ من ذاقوه يعرفوه، ونحن دائماً في منعطف طريق نستمع بحسرة!

ما هو تعلّم توحيد اللّه

هو احتراق النفس عند واحد

إن أردت أن تنير كالنهار

أحرق وجودك المشابه لليل

وجودك في وجود واهب الوجود

كالنحاس في الكيمياء في الاحتراق[٢]

ونحن لا خبر لدينا عن توحيد الشيخ الأنصاري وسيره. نحن لا نعلم كيف تتجلى الأنوار على قلبه، وتحمله من وادي المعرفإلى الوحدة، كيف طرد الأغيار عن قلبه، وصار محواً في مشاهدة المحبوب. كيف آنسه اللّه عند حيرة وهيبة الدخول في العوالم المختلفة، وكيف أرشده إلى الأفق الأعلى، وكيف استطاع تحمل تلك الوديان والسير فيها؟

«إلهي أنت الذي أشرقت الأنوار في قلوب أحبائك حتى عرفوك ووحدوك، وأنت الذي أزلت الأغيار عن قلوب أحبائك حتى لم يحبوا سواك ولم يلجأوا إلى غيرك، أنت المؤنس لهم

---

(١) سورة الصافات، الآية ١٨٠.

(٢) مثنوى‌معنوى، دفتر أول، ابيات٣٠١١- ٣٠٠٩.

حيث أوحشتهم العوالم وأنت الذي هديتهم حيث استبانت لهم المعالم»[1].

نعم نحن لا نعلم شيئاً عن عوالم توحيده، ولكننا نعرف علاماته. ولم يعلق قلبه بأي رباط[2] في الطريق، ولم يتوهم بأي ذوق، ولم يمنعه أي مبرر عن الأفق الأعلى. ولم يسلم القلب لأي كرامة، وكانت كرامته إدراك اللّه، ولم يطمع بأي مكاشفة، ومكاشفته كانت كشف جمال وجلال اللّه- تعالى- وكان لسان حاله:

«إلهي ماذا وجد من فقدك، وما الذي فقد من وجدك...»[3]!،

والآن نحني رؤوسنا أمام عظمته، ونبحث عن أوصاف هذا الرجل الإلهي عند أهل التوحيد. يقول الشيخ نجابت الذي كان من تلامذة الشيخ الأنصاري، وأدرك محضر آية اللّه السيد علي القاضي: «في أحد الأصفار التي تشرف فيها الشيخ الأنصاري إلى العتبات المقدسة، حدد موعداً مع السيد القاضي كي يزورا بعضهما البعض لأول مرة. فيما بعد قال السيد القاضي: كنت جالساً ومنتظراً لذاك الشخص الكبير، فالتفت إلى وجود شخص معه، فقلت: ارجع! فرجعا؛ لأنه كان من أهل التوحيد، وإن جاء إلى هنا فم يكن لدينا غير البحث والكلام التوحيدي، وكان ذاك المرافق مانعاً من الكلام. فأنا لم أرد أن يضيع وقت ذاك الشخص العظيم».

---

(١) مفاتيح الجنان، دعاء عرفة.

(٢) الرباط: منزل في طريق المسافرين في الصحراء.

(٣) مفاتيح الجنان، دعاء عرفة.

بعد رحيل السيد القاضي سأل الشيخ نجابت الشيخ الأنصاري: في النهاية هل التقيت السيد القاضي؟ قال: «عندما كنت في النجف قررنا لقاء السيد القاضي، كنا نسير مع أحد المعارف في الطريق إلى منزله. عندما وصلنا إلى مقربة من منزله سمعت في قلبي صوتاً يقول: ارجع...ارجع...، فرجعت فوراً».

في ذلك اليوم عرف الشيخ الأنصاري ماذا كان السبب. نعم!

مسجداً كان في باطن الأولياء

مكان سجدة الكل هناك الإله

**خمر بلا غول**

لقد شملت عناية اللّه حال الشيخ الأنصاري الهمداني، وتلقى التوحيد من المحضر الربوبي بلا واسطة، ومن أخذ التوحيد من منبعه مباشرة فلن يخطئ . فقد قال تلامذته كآية اللّه نجابت وآية اللّه الشهيد دستغيب: لقد أدركنا هذ الأمر، أنه أخذ علم التوحيد من اللّه- سبحانه-مباشرة، وقد تلقى كالخضر- عليه السلام- العلم اللدني.

علم الشيخ الأنصاري الهمداني وتزكيته جعلاه مستغرقاً في توحيد اللّه- سبحانه-، فأدرك معنى كلام أمير المؤمنين- عليه السلام- الذي يقول فيه:

«...بل وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك...»[١]

عندما وصلت إلى معرفتك، وجدت أنك أهل لأن أركع

---

(١) رسالة لقاء اللّه، ص٥٣.

أمامك، وأحني رأسي وأكون عبداً لك. وأنا إن عبدتك الآن فليس خوفاً من ذم الناس، ولا شوقاً لمدحهم وتمجيدهم، لا من خوف جهنم وعذابها، ولا من الشوق للجنة وحورها وقصورها. لا خوف فقدان الحالات والمقامات المعنوية، ولا شوقاً للحصول على المكاشفات والكرامات، لا خوف الفراق والبعد، ولا شوق الوصال واللقاء. فليس هناك أي سبب لخشوعي وخضوعي أمامك، فانا أعبدك عبادة الأحرار، لا عبادة العبيد ولا عبادة التجار.

غلام الهمة أنا تحت الدولاب مسحوق

حر من كل ما يقبل لون التعلق

والشيخ الأنصاري كان حراً، لا حبل من الدنيا في اليد ولا تعلق بالآخرة في القلب، فهو كان من أهل الله- سبحانه-، يقول نبي الإسلام- صلى الله عليه وآله وسلم -:

«الدنيا حرام على أهل الآخرة، والآخرة حرام على أهل الدنيا، وهما حرامان على أهل الله»(١).

سيرته التوحيدية هي سيرة الأئمة الأطهار- عليهم السلام - التوحيدية. توحيد أوصل أفضل مخلوقات الأرض إلى نهاية العبودية بعد آخر سير في المراحل التوحيدية، وأعطى الإمام الرابع لقب سيد الساجدين وزين العابدين، وجعل ذاك الإمام الهمام يناجي الله- سبحانه- في مناجاة الذاكرين قائلاً:

«وأستغفرك من كل لذة بغير ذكرك ومن كل راحة بغير أنسك ومن كل سرور بغير قربك ومن كل شغل بغير طاعتك...»

---

(١) نقلاً عن: حقيقي، كريم محمود، عبادتعاشقانه، ص١٨١.

كان الشيخ الأنصاري يريد أن يكون خمراً بلا غول، ومحباً صادقاً خالصاً، وأن يصل إلى تمام العبودية، وكان عبداً. والعبد لا يعطي أمراً ولا يكون لديه إرادة من نفسه، فإرادته هي إرادة مولاه. وقد خوطب الشيخ الأنصاري الهمداني:

«جعلتك حياً لا تموت وتقول للشيء كن فيكون»

ولكن توحيد الشيخ الأنصاري الحقيقي لم يدع ذرة تبقى من وجوده الذي هو وجود «لا يقاس به ذنب» وصار فانياً في حضرة الحق، بل لم يبق إرادة كي يريد التصرف في عالم الخلق ويفعل. فهو قد أراد أن يصير هو إرادة اللّه، لا أن يكون اللّه إرادته، وأراد أن لا يبقى ذرة من ذاته وإنّيته.

ليس في عالم السكارى فكري ورأيي

كفر في هذا المذهب الأنانية والعجب بالرأي

نتيجة توحيده لم تكن غير العبودية التامة والكاملة، وقد كان هو متبعاً مولى العارفين الإمام علي- عليه السلام - الذي يقول:

«كفى بي عزاً أن أكون لك عبداً وكفى بي فخراً أن تكون لي رباً»[١]

صرت عاشقاً، حبيبي أريد عاشقاً أكثر من هذا

أقول لعينيك أنا أريد سكراً مثل هذا

أنا لا أريد تاجاً أنا لا أريد عرشاً

---

(١) مفاتيح الجنان، المناجاة المنظومة للإمام علي ( عليه السلام).

أريد أن أقع على الأرض في خدمتك[١]

اللذة التي وجدها الشيخ الأنصاري في السجود على التراب في مقابل الله- جل وعلا-، لم يجدها في الكشف والكرامات. لقد أوصلته العبودية ونهاية الإخلاص إلى محل صار فيه غارقاً في الحق بحيث يبقى غافلاً عن غيره، ويترك جانباً كل الدنيا والآخرة والجنة والكشف والكرامة والمقامات والمنازل. ويفكر فقط فغي رضاه، ولا يقدم رضا نفسه على رضا اللّه- سبحانه-، ويجلس للنجوى معه.

بولائك إن ناديتني عبدي

أقوم عن رئاسة الكون والمكان

نظرته هذه هي التي أدت إلى أنه عندما كان يأتيه سيد من أقطاب الدراويش، ويطلب منه أن يعلمه علم الكيمياء وطي الأرض الذين لم يكن قد علمهما لأحد حتى ذلك الوقت، كان يقول: «نحن لا حاجة لنا لهذه الأشياء، نحن لدينا أعلى منها». ويجيب أمام تعجب ذاك الدرويش وسؤاله: «هل هناك أعلى من هذا أيضاً؟: «نعم نحن لدينا علم التوحيد».

نعم!

أنت وطوبى ونحن وقامة الحبيب

فكر كل شخص بقدر همته

هو قد رمى وراء ظهره مرات ومرات كل م يمكن أن يكون

---

(١) ديوان شمس تبريزي.

حجاباً ومانعاً من مشاهدة جمال الحبيب. هذه الحالات والمقامات التي هي عجيبة بالنسبة لنا، مثل الكشف والكرامات وطي الأرض التي يسيل لها لعابنا هي في نظره غبار مانع من الوصول إلى المحبوب، وهو لم يجلس أبداً لمشاهدتها؛ فكيف بتسليم القلب لها، فحقيقة التوحيد هو إسقاط الإضافات، وكل ما هو غيره باطل وإضافة.

أعطى علامة أهل الخرابات

أن التوحيد إسقاط الإضافات

إذا كان هدف ومقصد الإنسان الوصول إلى هذه المقامات التي بين الطريق، وإذا كان نظره نحو الكشف هوالكرامات، فلا يفكر بالله، لن يصل إلى الله- سبحانه-؛ لأنه لم يكن يفتش عن الله- عز وجل-! وإن كان هدفه الوصول إليها، فلن يكون هناك إله في البين، وهذا البتة تجارة هي بالظاهر مربحة؛ لكنها مخجلة!

ينقل آية السيد علي محمد دستغيب عنه قوله: «إن الأعمال والعبادات الدينية هي من أجل أن يصير المرء إنساناً، والوصول إلى مقام التوحيد؛ لا من أجل كسب هذه القدرات».

### أدب العبودية

اقتضى أدب العبودية لديه أن لا يراه الله سبحانه مشغولاً بشيء آخر غيره، ولا يعلق هذا العبد قلبه بالنعمة، ومشغولاً بصاحب البيت. يتكلم الإمام- عليه السلام- عن هذا الانشغال في زيارة أمين الله فيقول:

«مشغولة عن الدنيا بحمدك وثنائك...»

هذه الأمنية هي التي طلبها الإمام السجاد - عليه السلام - من اللّه - سبحانه- في مناجاة المريدين، وقرأها الشيخ الأنصاري مرات عديدة بحرقة قائلاً:

«أنت ولا غيرك مرادي ولك لا لسواك سهري وسهادي، يا نعيمي وجنتي! يا دنياي وآخرتي!»

كان الأنصاري مجذوباً للحق- سبحانه- فقط، ولم يكن ابداً ينشغل بالساقية مع وجود البحر. لم يكن ينظر إلى النجمة عندما يكون القمر موجوداً، ولم يكن أبداً يندهش بشعاع النور عندما تكون الشمس موجودة. ولم يكن يرضى بالجنة عندما يكون خالق الجنة موجوداً. ونتيجة هذه العبودية وهذا الإخلاص تظهر في الآخرة ويبقى الشيخ الانصاري غافلاً عن الغير أيضاً.

يقول أحمد الأنصاري في هذا المجال: «كنت أحب أن أرى مقامات والدي المعنوية في تلك الدنيا، وفي أحدى الليالي رأيت في عالم الرؤيا جنة بأنهار جارية وأنواع النعم واللذائذ بنفس الأوصاف التي في القرآن، ووالدي في وسطها على سجادة مشغولاً بالصلاة. سألت ما هذا المكان، سمعت جواباً: هنا الجنة. ووالدي مشغول بالصلاة من الوقت الذي جاء فيه، ولم ينظر إلى هذه النعم أدنى نظرة».

نقل نظير هذا المنام ايضاً عن الحاج حسن شركت[١]، ولا

(١) در كوى بي نشانها، ص٥٢.

شك أن هذا ليس عجيباً فقد جاء في حديث ضيافة أهل الجنة أن أهل الجنة بعد قراءة القرآن طلبوا استماع كلام الرب، تفضل عليهم وبقوا مدهوشين مدة مديدة من لذة الاستماع، وبعد أن استيقظوا، يسألون النظر إلى جمال اللّه- تعالى-، فيتجلى نور يندهشون منه، ويبقون مقداراً في هذه الغيبوبة؛ فتشتكي الحور العين عدم التفات هؤلاء الذين خلقن من أجلهم إليهم، فيرحمهم اللّه- سبحانه- ويوقظهم، ولكنهم يطلبون من اللّه مرة أخرى نفس التجليات التي ذاقوا لذتها.

نعم!

كل من عرفك ماذا يفعل بالروح

ماذا يفعل بالولد والعيان والمنزل

تجعله مجنوناً وتعطيه العالمين

مجنونك ماذا يفعل العالمين

والافضل بالحقيقة أن نفكر في أنفسنا، ونسأل: ماذا أدرك الشيخ الأنصاري الهمداني من توحيد اللّه- سبحانه- كي لا يريد ثمرة هذه العبادة والعبودية التي هي تاج وعرش الجنة، وقدم لذة السجدة والصلاة على جميع نعم الجنة والمقامات والمنازل والكشف والكرامات؟ ماذا رأى من تجليات الجمال والجلال الإلهيين ورفع الحجب، وأي شهد من حب اللّه- سبحانه- قد ذاق، بحيث أنه إذا حرم لحظة من رؤية اللّه- تعالى- يترك قالب البدن ويطير نحوه؟ واي عشق ذي جانبين هذا الذي يذكره اللّه- عز وجل-:

«ولا أحجب عنهم وجهي ولأنعمنّهم بأنواع التلذذ من كلامي، ولأرفعنّ الحجب لهم دوني...»(١)

هذه المحبة هي التي كان شعيب- عليه السلام - مبتلىً بها، وكان يبكي إلى أن عميت عيناه، وعندما أعاد اللّه له عينيه، عاد إلى البكاء، وتكرر هذا الأمر أربع مرات إلى أن جاء الوحي إليه سائلاً عن بكائه إن كان من الخوف من النار فقد أنجاه منها، وإن كان شوقاً للجنة فقد أعطاه أياها، لكن شعيب يجيب بأنه لم يكن خوفاً من النار ولا شوقاً للجنة.

«ولكن عقد حبك على قلبي»(٢)

هذه المحبة هي تجلٍ من حرقة ولوعة الحسين بن علي- عليه السلام - في دعاء عرفة التي يعبر عنها بقوله:

«يا من أذاق أحبائه حلاوة المؤانسة، فقاموا بين يديه متملقين...»

لقد اقتضى أدب عبوديته أن لا يريد تبديل مكانه مع اللّه- سبحانه-، بل لا يريد بتصرفاته في العالم أن يقضي مكان اللّه- تعالى-؛ فالمكاشفة انشغال بسواه، والكرامة خرق للعادة وتصرف في نظام الخلق.

هو الذي كان تمثال العشق والخضوع، بلا اختيار وبلا إرادة كالمنعطف الذي ينعطف في عصاه المنحنية، وهكذا حتى أواخر عمره قلما رأى شخص كرامة منه.

---

(١) حديث المعراج، رسالة لقاء اللّه، ص٤٥.

(٢) م.ن، ص٣٧.

يقول السيد عبد اللّه الفاطمي:» في أحد الأيام كنا نخرج معه من مسجد النبي- ﷺ-، فخطر في ذهني أنه نحن كنا معه مدة سنتين، ولم نر منه شيئاً خاصاً. بمجرد أن زال هذا الخطور من ذهني، رأيت فجأة أن الحجاب زال عدة دقائق، ورأيت الأشجار والنباتات في حال سجدة وتسبيح. في تلك الحال كنت أشعر باللذة، فقال سماحته: يكفي لك؟! وبمجرد أن قال ذلك، عدت إلى حالتي العادية.[١]

يقول آية اللّه علي محمد دستغيب في هذا المجال أيضاً:» في أحد الأيام جاء شخص لديه سرطان إلى خدمة سماحته، وأصر كثيراً أن يشفيه، وشفي في النهاية وذهب. لكن بعد اسبوع أو أسبوعين اجتمع الناس على باب الحسينية يقولون هنا الشيخ الذي يشفي؛ لكن سماحته فرق الجميع وقال: اذهبوا من هنا، ليس الأمر كذلك. سماحته لم يكن يفعل هذه الأفعال».

## التقدير أجمل تدبير

إن ما تم إعداده وتحديده بالنسبة للشيخ الأنصاري من التدبير والتقدير الإلهي هو أفضل وأجمل تقدير وتدبير. هو لم يكن يفكر أن تقديره وتدبيره أفضل من التدبير الإلهي، وهذا معنى دعاء الإمام السجاد- عليه السلام - في الصحيفة السجادية الذي يقول فيه:

«وطيب بقضائك نفسي، ووسع بمواقع حكمك صدري، وهب لي الثقة لأقر معها بأن قضائك لم يجر إلا بالخيرة»[٢].

---

(١) در كوى بى نشان ها، ص ١٢٢.

(٢) الصحيفة السجادية، الدعاء ٣٥.

## حجاب الطريق

يقول أحمد الأنصاري:» كان الشيخ يقول: لا تهتموا بالكرامات والمكاشفات مطلقاً، فهل لديكم أمر بهذا في مكان ما. لقد سمعت منه أن الإنسان من الممكن أن يشق القمر، ولكن لا يكون ولي الله. وسماحته نفسه لم يكن لديه اعتناء بتلك الأحوال والمجاهدات في أيام سلوكه، وكان يقول: في تلك الأيام، أحسست يوماً فجأة أنني صرت صاحب علم وقدرة لا نهائية، ورأيت أن كل شيء في اختياري، فاستغفرت فوراً وقلت: إلهي! أنا لا أريد هذا. قلت ذلك ورأيت فجأة أن القضايا رجعت عني. حدث نظير هذه القضية لآية الله محمد البهاري تلميذ الملا حسينقلي همداني، وقد ذهب سماحته إلى خدمة الملا حسينقلي، ولكن عندما حضر في محضره لم يعتن سماحته به أبداً، ورده بإكراه. قال الشيخ محمد البهاري: خرجت من هناك، وكنت أشعر فقط بأنني أريد أن أقول: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. عندما وصلت إلى مقبر وادي السلام في النجف، هناك رأيت أن ما وصلت إليه موجود لدي كل الناس ولا امتياز لدي. رجعت إلى أستاذي؛ ولكنه هذه المرة أخذني بأحضانه«.

## الله خاصة للمحبين

علم سماحته تلامذته أيضاً وذكرهم بأن مقام القرب غير المكاشفات وظهور الكرامات. يقول الحاج إسلامية:» كان سماحته يمنع أغلب الأشخاص عن المكاشفات، وكان المرحوم الشيخ يعتبر أن الموت الاختياري وطي الأرض وجميع ذلك حجاب الطريق، وكان يقول: مقام القرب غير هذا، مقام لقاء

الرب لا يحصل بلعب الأولاد هذا. فإذا رأيتم باطن الأشخاص أو رأيت منظراً ما فماذا يعني؟!»

جاء في حديث قدسي:

«يا داود! ذكري للذاكرين، وجنتي للمطيعين، وحبي للمشتاقين وأنا خاصة للمحبين»[١].

وقد ذاق الشيخ الأنصاري الهمداني محبة اللّه- سبحانه- ويقول: «النعم واللذات والبهجات التي جعلها اللّه- سبحانه- من نصيب عباده الخاصين في هذه الدنيا، لا تكون نصيب الأشخاص العاديين في الجنة وعالم الآخرة»[٢].

نعم! لذة القرب واللقاء التي لا أذن سمعت ولا خطرت على قلب بشر، عاهد الشيخ الأنصاري إلهه أنه:

كل شخص ذهب للمشاهدة نحو صحراء

نحن الذين أنت منظورنا لا يذهب الخاطر إلى مكان

أنا لا أريد أن أمد يدي إلا إلى زلفه

إن كان هناك وصول يوماً إلى يغماءٍ[٣]

يقولون تمنى ظهور من الحبيب سعدي

لا أريد من الحبيب أنا غير تمنى الحبيب

---

(١) الحديث القدسي، الحر العاملي، الشيخ محمد حسين، ص١٥٤.

(٢) رسالة لقاء اللّه، الحاشية، ص٣٥.

(٣) بلد في تركستان اشتهر أهلها بالجمال.

## التوحيد ونسيان الغير

يقول الحاج إسلامية: «سماحته كان يقول إضافة إلى قوله:إن تشخيص المكاشفة الصحيحة والواقعية مشكل،: هذه الأشياء هي توقف في الطريق وانشغال بالجزئيات وعدم الحركة نحو المقصد العالي، وتوقع الشخص في الاشتباه؛ ولكنه كان يقول بين الأصحاب: الحاج هادي الأبهري قلما كان يشتبه في المكاشفات؛ لأنه كان يتحرك بنور أهل البيت ـ عليهم السلام ـ.

في أحد الأيام التي كنت ذاهباً فيه إلى كربلاء، مع أنني كان لدي مال، أحضر سماحته مائة تومان وأعطاني إياها وقال: هذه حوالة الإمام الحسين- عليه السلام ـ. وقد كان مالي قد نفذ هناك، وكنت محتاجاً لهذه المائة تومان. هذا من مكاشفات الشيخ هادي أبهري.

عندما حصلت لدي مكاشفة قال لي الشيخ الأنصاري: لا تعمل بالمكاشفة، لتر المنام فقط، وبعدها لم يعد لدي مكاشفة. كان يقول: كثير من المكاشفات خاطئة. وعندما كنت مريضاً ولم ترض والدتي أن أجري عملية في المستشفى، قال سماحته لآية اللّه السيد عبد اللّه الفاطمي: ضع يدك على موضع الألم وادعُ، فأطاعه وصرت جيداً. قال آية اللّه الفاطمي: قال لي سماحته: إن كانت الاستخارة جيدة سأعلمك دعاء تقرؤه على أي مريض يتحسن. لم يعلمني هذا الدعاء أبداً، وفي النهاية قال: لم تكن الاستخارة جيدة»

هو كان من أهل العبودية وكان يعلم تلامذته العبودية، ولذلك

لم يعلمهم سفاء المرضى وخرق العادات. لقد كان يقرأ زيارة أمين اللّه ويكرر:

«اللهم اجعل نفسي مطمئنة بقدرك راضية بقضائك»

ومن كان مطمئناً بتقدير اللّه وراضياً بقضائه، لا يسعى وراء تغيير الشرائط الموجودة بصورة غير طبيعية. كان يرى نظام العالم الذي خلقه احسن الخالقين على النحو الأحسن، ولم يكن يرى فيه اي خلل كي يريد أن يتصرف فيه ويغيره، وكان ينادي:

«ما رأيت إلا جميلاً»

قال شيخنا لم يجر الخطأ من قلم الصنع

مبارك النظر الطاهر الذي يكون مخفياً للخطأ

يقول الأستاذ محمود كريمي: «إن كان هناك شخص لديه ولد مريض والتمس بشدة، كان يقول: اذهب اعمل كذا، أنا أعدك أن العباس عله السلام سيشفيه».

الخلاصة أن التوحيد الذي يعلمه جعله ينسى نفسه. كتب السيد الفهري الذي هو من تلامذة الإمام الخميني- قدس سره- في كتاب «برواز في الملكوت»:» سمعت من العارف الكامل وشيخنا الكبير الحاج الشيخ جواد الأنصاري الهمداني يقول: جاء أحد الأصدقاء إلى همدان وسكن في حجرة في مدرسة الآخوند. كان فصل الشتاء والجو بارداً وكان فقيراً ومحتاجاً. أنا بحكم الوظيفة الإلهية والوجدانية أحسست أنه يجب أن أجمع بعض الأموال الشرعية وأشتري له لحافاً وفراشاً، وأحمله إلى المدرسة.

لا أعلم لماذا امتنع عن قبول الأثاث الذي أمنته له. أنا كنت

محبطاً فماذا أفعل بالأثاث الذي اشتريته؟ ولماذا لم يقبل هذه الخدمة مني؟ بقي هذا السؤال في قلبي، قلما كنت أغفل عنه، إلى أن نمت في الليل وعند السحر قمت من النوم للتهجد بواسطة الساعة التي كانت فوق رأسي. بمجرد أن فتحت عيني من النوم، خطر لي فوراً أنه لماذا لم يقبل هذا الشيخ هذه الأشياء، فسمعت بشكل واضح وبارز الساعة التي فوق رأسي تقول مرات عديدة، لم يفعل، لم يفعل! - بمعنى أن لا تشغل بالك به، وانطلق إلى عملك-»[١].

نعم! «التوحيد أن تنسى غير اللّه»

علم الشيخ الأنصاري تلامذته أنه لا يوجد سوى» هو هوهو» كي يعلموا ذلك ويحفروه في أذهانهم:

كل مع هو سواه هو سد الطريق

ذاك صنم وغيرتي محطمة للصنم

وعبد اللّه لا يكون عابداً للصنم، يقول أحمد الأنصاري: «لم يكن المرحوم والدي يعتني بالكرامات وهذه المسائل، وكان يوصي تلامذته بأنه إذا علق الإنسان قلبه بها لن يصل إلى القرب الإلهي ويبقى في الطريق. كان يقول: يصل الإنسان على أثر المجاهدات الشرعية إلى محل يصير فيه مرآة تعكس بشكل كامل جميع الصفات الإلهية، وهذه اللذة لليست ذوقية ولا قولية، وكان يقول:

---

(١) الفهري، السيد أحمد، برواز في الملكوت المشتمل على آداب الصلاة للإمام الخميني، ص ٢٩٠.

تكلمت مع شيخ الكلام الليلة الماضية

لا تحجب علي أنا التعب القلب من سر الكون

همس في أذني بلطف ولين

معرفتي هو وليس قولياً اسكت

**خطر المكاشفات، التجليات النفسانية:**

يتكلم الدكتور علي الأنصاري عن وصايا والده فيقول:

«المكاشفات ليست دليلاً على المقامات، وكثير من المكاشفات التي تظهر للإنسان تشغل القلب أو تسبب له الغرور. والدي لم يعتن أبداً بالمكاشفات، وأول عمل كان يعمله مع بعض التلامذة الذين كان لديهم مكاشفات كثيرة هو أخذ المكاشفة منهم، إلا في الموارد التي كانت تنطبق فيها مع الواقع ولم يكن فيها ضرر؛ لأن بعض المكاشفات ترافق التجليات النفسانية، وبما أن والدي كان يدرك تلك التجليات النفسانية فكان يزيل كثيراً من المكاشفات. طبعاً هنا يعرف دور الأستاذ الذي هو مهم وضروري. الإنسان كلما غاص في عالم النفس تتداخل التجليات النفسانية مع المكاشفات إلى أن يصل الإنسان إلى المقامات الربوبية وتقل التجليات النفسانية، إلى أن يصل إلى مقامات أعلى من المشاهدات الربوبية. ولقد قال عن بعض الأصدقاء: إن مكاشفاته كثيرة؛ لكن أكثرها خطأ، وكان يقول: إن أثر المكاشفات السلبي أكثر من أثرها الإيجابي. كان سماحته بعد أخذ المكاشفات يوجههم نحو مسير يقل فيه الانزلاق. في أحدى المرات كتب شخص من أمريكا رسالة إلى السيد دستغيب

وذكر فيها تفصيل مكاشفاته. ففرح السيد دستغيب، وسأله كيف وصلت إليها؟ لكن الشيخ نجابت عندما علم قال: قل متى تأتي إلينا حتى تنقطع جبهة جميع التخيلات من رأسه؟!»

الشيخ الأنصاري في طي هذه الطريق خرج بعظمة وإخلاص من تنور هذا الامتحان كالذهب الخالص، ولم يستبدل ذاك الأفق الأعلى بأي عوض. في الحقيقة إين هو السيرفي الأسرار الربوبية، وأين هو كشف حجب العالم المادي؟ أين الغرق في سبحات الجمال والجلال، وأين الاندهاش في نعيم الجنة؟ أين تجليات الوجه الإلهي وأين جمال صاحبات وجه القمر؟

الشيخ الأنصاري خرق هو حجب النور ووصل إلى معدن العظمة، وربى تلامذته أيضاً كذلك. يقول الحاج أفراسيابي:

«لقد نهينا بذاك القدر عن الكشف والكرامات بحيث أنه إذا حصل لأحد التلامذة كشف كان ينزعج كثيراً، ويفكر بأنه ماذا فعلت حتى حصل لي ذلك؟ وكان ينفعل وينزعج ويعتبر ذلك بالنسبة إليه قصوراً؛ لأنه لم يعبر من النفس. النفس لها عوالم مختلفة، ويجب العبور منها، وكانوا يظنون بأن ذلك من أجل الخداع. نحن عندما كنا نذهب إلى الشيخ نجابت كنا نحكي له ذلك مع الخوف والاضطراب والاستغفار. كنا نقول: حتماً حصل منا مخالفة وهذه نفسنا تريد أن تستفيد استفادة سيئة».

كان سماحته يواظب على أن لا يتعلق تلامذته بهذه العوالم، فيؤدي ذلك إلى تقليل توجههم نحو العوالم الربوبية.

## لا نريد من الحبيب غير الحبيب

كان آية اللّه الأنصاري يقول:» طريق معرفة اللّه أخص من هذه الأشياء».

نحن من الحبيب لا نريد مقصداً غير الحبيب

مبارك لك الحور والجنة أيها الزاهد

يقول آية اللّه السيد مهدي دستغيب:

«من وصل إلى ذاك المقام العالي يغرق هناك، ومن المعلوم أن تلامذته سيكونون متبعين لأسلوبه».

ويقول الحاج إسلامية:» علمت بالنسبة إلى الشيخ نجابت والسيد دستغيب أن شخصاً زارهما قال: أنا سأموت غداً، وأريد أن أ نقل إليكم علم الجفر الذي لدي، فقالا له: نحن لا نحتاج إلى هذا. فيما بعد قال الشيخ نجابت: نحن محظوظون بالتوحيد وممتلؤون إلى حد أننا لا نعتني بهذه الأمور».

وأمثال الشيخ نجابت والسيد دستغيب هم تربية الشيخ الأنصاري، ولا ينبغي أن يكونوا غير ذلك.

## الله أو النفس

يقول الحاج إسلامية: «نفس الإنسان تحب المدح، وتسعى إلى مدح نفسها، والمكاشفة تسبب هذه الأخطار. كان أحد الأصدقاء يقول: قمت عدة ليال من لصلاة الليل، فرأيت نوراً حول المصباح، فكرت أنني صرت صاحب نورانية، عرفت بعد أن عيني مريضة ولدي مشكلة فيها.

كان سماحته يقول: المكاشفة فيها خطر على السالك من جهتين: أحدهما تشخيص كونها إلهية أو شيطانية؛ لأن النفس لديها قوة خلاقة، وتشخيص هذين الأمرين مشكل. والآخر أنها توقف السالك، وتشغل الشخص بهذه الجزئيات.

كان الشيخ الفاطمي شخصاً لطيفاً جداً، وكان يقول: أنا في الطريق كان لدي جد وجهد كبيرين. في أحدى المرات كنت جالساً في غرفة وكنت أتلوا الذكر، فرأيت أن الشيطان قد اجتمع مع رجاله، ويضربون أكفهم ويرقصون، ويقولون: هذا أيضاً يريد أن يصير إنساناً، فقلت: نعم! بعمى قلوبكم! بعد ذلك توقفوا عن ضرب الكفوف وذهبوا، كانت هذه مكاشفة واقعية. ولكن على كل حال عندما يتحرك السالك، ير في الطريق بعض النور والشعاع ولا يعلم أنه من اللّه أم النفس!»

## مقام القرب أعلى

يقول الحاج إسلامية أيضاً:» نعم، نحن كنا في أيام الجمعة نذهب في فصل الربيع والصيف إلى بستان، ويجتمع الرفاق هناك. كان هناك أرض وشجر وأعشاب ونهر، وكان واحد من الرفاق في كل مرة يجهز الطعام ويأتي بالأثاث، وكنا نطبخ غالباً «آب كوشت».

في أحدى المرات كانت نوبتي فحضرت أمي الطعام، وكان يجب أن ننقل الطعام إلى هناك على حمار. جاء صاحب الحمار ووضعنا الوسائل ومشينا في الطريق خلفه. فيما بعد اضعنا ذلك الشخص وتغير طريقنا كثيراً. أنا اضطربت فقد يصل الشيخ ولا

تكون الوسائل قد وصلت، ونحن سنخجل. هنا توسلت واللّه يعلم، فقد سرت مسافة يجب أن أرجع ساعة ونصف أو ساعتين؛ ولكن بعد ثلاث أو أربع دقائق رأيت أنني ب إلى هناك، وكان ذاك الشخص مع الوسائل هناك. ولكن هذه المسائل ليست هي التي تشغل الإنسان. كان تعبيره جيداً جداً: مقام القرب غير ذلك».

## العبودية بذل الوجود

«والعبودية بذل الكلية»

والعبودية هي البذل بذل تمام الوجود في سبيل الحق حتى لا يبقى هناك أثر من هذا الوجود الموهوم الاعتباري، ويبقى هو فقط ولا يبقى لدى شخص شيء من الوجود، ولا إرادة لديه ليريد أن يتدخل ويتصرف في العالم وأن تصدر منه كرامة. أن لا يريد كرامة، أو لا يريد مكاشفة، أن لا يرد مقامات، والخلاصة»

«أريد أن لا أريد!»

يقول الحاج إسلامية: «كان الشيخ غالباً يقرأ حديثاً، كان يقول: كان الإمام الصادق- عليه السلام - يمر فرأى جماعة اجتمعوا، فسأل: ما الخبر؟ قالوا: أحد الدهريين يتحدث. جاؤوا بذاك الشخص إلى الإمام- عليه السلام - فسأله عما في يده، فقال: بيضة طائر في مكان من العالم. سأله الإمام- عليه السلام - كيف وصلت إلى هذا المكان؟ قال: بمخالفة النفس. فطلب منه الإمام- عليه السلام - ان يؤمن فرفض، فقال له خالف نفسك. لم يستطع الدهري أن يعارض كلام الإمام فآمن.

بعدها سأله الإمام- عليه السلام - عما في يده فأجاب: لا أعرف.

يذكر الشيخ هذا الحديثويقول: إذا تحركت في الطريق الشرعي والإلهي ووصلت إلى مكان فله قيمة».

يقول حافظ:

لم تربط من تلك الناحية طرفاً على الخصر

إن رأيت نفسك في البين

من ربط طرف الوصل بالحسن الملكي

هو من يعطي نفسه العشق هو خالداً

ومن كان عاشقاً نفسه، فلن يصير عاشق اللّه.

يقول أحمد الأنصاري: «كان هناك سيد درويش باسم السيد علي من أهل سبزوار. في أحد الأيام جاء ذاك الدرويش إلي وبدأ يتكلم عن مكنوناتي ووضعي. مثل: أنت ابن الشخص الفلاني ونفسك لها الوضع الفلاني. أي شيء كنت أفكر فيه كان يقرأ أفكاري ويبينها. بعد ذلك أردت أن أدعوه إلى منزلنا. فهم بنفسه وقال: لا أنا آتي لأن أباك لديه قدرة عالية ويأخذ كل ما لدي. هو كان لديه مع والدي مراسلات، وكان والدي يجيبه.

فيما بعد قال أبي: هناك أشخاص يعطون على أثر السعي والجهد والأذكار الطويلة أشياء، حتى من الممكن أن يستطيعون التصرف بالأشخاص. ولكن هذا مؤقت. لا تنخدع بهذا الكلام، هذه الأمور سريعة الزوال، ولا تكون منعهم إلا إلى حافة القبر، فلا تشغل بالك بهم».

## إخطار المكاشفة: الادعاء

يقول آية اللّه السيد علي محمد دستغيب في هذا المجال: «من أخطار المكاشفة الادعاء وتصديق النفس. بقي الشيخ نجابت في إحدى أسفاره إلى همدان في خدمة الشيخ الأنصاري مدة ثلاثة أو أربعة أشهر. في هذه المدة واحد أو اثنين من تلامذته في شيراز اللذان كان عمرهما قليل، ولكنهما كانا قد حصلا على قدرة يقرآن بها فكر وباطن الآخرين، وقد ادعيا أنهما لديهما إرشاد وارتباط. في ذلك الزمان قال الشيخ الأنصاري للشيخ نجابت: ارجع بسرعة، واصلح اوضاع شيراز فقد اختلطت الأمور، هجموا على الزريبة. بعدها ذهب الشيخ نجابت ومع أن أسلوبه ومعاملته كانت لطيفة، وكان هذان الشخصان محبوبان عنده؛ ولكنه عاملهما بشدة عسى أن تخرج تلك الأشياء من رأسيهما؛ ولكن للأسف هما وقفا أمام الشيخ وبحصولهما على هاتين القدرتين الصغيرتين صارا مدعيين وخرجا من الحلقة».

## كرامة الشيخ الأنصاري

الشيخ الأنصاري لم يسعى للحصول على الكرامة والمكاشفات والمقامات بل صار محواً للّه، وكرامته هي صنعه للإنسان، كما قال الشيخ فاطمي نيا: إن كان البناء إن يصل الجميع إلى إلقاء الحية والعقرب، فمن يجب عليه أن يربي العالم الرباني».

كرامته هي عطفه ولطف أخلاقه العائلية، كرامته مدح وتمجيد مخالفيه، كرامته نفي أي أثر من آثار الأنانية القبيحة والحسنة. ينقل علي محمد حقيقي عن آية اللّه نجابت قوله: «كان لدى

الشيخ الأنصاري تلميذاً تعب من أجله سنوات، كان عالم دين ولكنه كفّر الشيخ بشدة. كان يتكلم ضد الشيخ في هذه المدينة وتلك المدينة، ثم يندم ويعتذر، ومرة ثانية كان يذهب ويفعل نفس العمل إلى سبع عشرة مرة كفر فيها الشيخ. كان سماحته يقول: تقصيري أنا! أنا لم أستطع أن أعمل عملاً كي لا يبتلى، وبقي يقول تقصيري حتى آخر مرة».

نعم، كرامة الشيخ الأنصاري هي التحرر من نفسه. يتابع علي محمود حقيقي كلامه قائلاً: «قال الشيخ الأنصاري: بعد سبع عشرة مرة نسبت فيها التقصير إلى نفسي، أنعم اللّه علي نعمة وانكشفت لي بعض الأسرار الربوبية التي لم أكن أفكر أنني سأستطيع الدخول فيها، هنا قال الشيخ نجابت: تعلمون، في تلك السبع عشرة مرة التي قام فيها بهذا العمل، كان سبعة عشر يوماً غافلاً عن نفسه. أتعلم ما يعني كونه غافلاً عن نفسه؟ يعني كل شيء، أتفهم؟!»

قرب الخيزران فيه ذهاب صعوداً وهبوطاً

قرب الحق هو التحرر من حبس الوجود

رضى اللّه فقط

خلاصة العشق العشق، والعشق هو العصارة الحقيقية.

«لكل حق حقيقة ولكل عمل نور»

وما دام ذاك النور ليس فيه فكل شيء ادعاء، وفي النهاية:

عمر السالك كله انطوى بتمني الوصال

هو لم يعلم أنه في ترك تمني الوصال

والسالك يجب أن لا يتمنى حتى الطمع بالوصال، وأن لا ينمي القرب في ذهنه طمعاً به، كيف لا:

ما هي نسبة التراب إلى العالم الطاهر

أصلاً كيف يستطيع المحدود أن يدرك اللامحدود ويصل إليه:

«كيف يتصل إليك بما هو محال ان يصل إليك؟!»[١]

أصلاً ما هو الارتباط بيننا وبين اللّه، من نحن كي نريد أن نعرف اللّه ونصل إلى اللّه؟ فلنترك اللّه يريد لنا، ويقرر هو لنا، ونحن نختار رضاه فقط.

نعم، ايها الطالبون للرضى الإلهي! تعالوا لنجعل أنفسنا تسليماً محضاً، ونرى أن فردوسنا وجنتنا في رضاه، وأن يكون كشفنا وكرامتنا في الحصول على رضا اللّه!. تعالوا لكي نركع في محضره ونسأله: اضرب! مهما ضربت، رضاي هورضاك، يا نعيمي وجنتي! يا دنياي وآخرتي! جنتي هي رضاك!

تعالوا لنخضع مقابل اللّه مثل أولئك الخالصين والمخلصين أمثال الأنصاري الهمداني في مناجاة أهل العشق والحاجة، وأن نستغفره من كل ما سواه، وأن نقول في ساحة الرب الجليل:

«ما عرفناك حق معرفتك وما عبدناك حق عبادتك»[٢].

وأي وجود يريد أن يعرفك، هل هو ذاك الوجود الذي لا يقاس به معصية؟

---

(١) دعاء عرفة.

(٢) مرآة العقول، ج٨،ص١٤٦ _ أصول الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب الشكر.

«وجودك ذنب لا يقاس به ذنب»

من كل ما سوى الحبيب استغفر اللّه

من الكون المستعار استغفر اللّه

النفس الذي يمر بلا ذكر وجهك

من ذاك النفس الذي لا يعد استغفر اللّه

من عمل السيء مائة توبة

من قولي ألف استغفر اللّه

ذهب الشباب وجاءت الشيخوخة

لم أعمل لك عمل استغفر اللّه[1]

في النهاية، إذا أردنا أن نكون عبيداً، ونريد أن نبقى عبيداً ونقوم بالعبودية:

أريد معشوقاً وزماناً وأرضاً

كي يكون هو وأكون أنا ولا أغيار.

---

(١) الفيض الكاشاني.

## الفصل الثاني عشر

# الولاية

**أمشي طريقك الفردوسي كاس الخمر المظهر للسر**

### الولاية مندكة في التوحيد

الإمام هو مكان ومحل معرفة اللّه، والخالص في توحيده، ومن يريد أن يصل إلى اللّه يجب أن يبدأ من الإمام، وكل من أراد أن يحصل على محبة وعشق اللّه، فالإمام هو الواسطة» واسطة الفيض بين السماء والأرض»، وآخر حجاب بين اللّه والإنسان. وإن لم يكن حبل الولاية متيناً، فسيكون العروج إلى السماء محالاً، ولن تكون معرفة اللّه ممكنة. هذا هو اعتقاد الشيخ الأنصاري الهمداني.

يقول آية اللّه السيد علي محمد دستغيب عن ذلك: «هو كان يعتقد أن ظهور التوحيد هو الولاية، بل الولاية مندكة في التوحيد، وهذان الاثنان لا ينفصلان عن بعضهما. كان يقول: إن من ورد إلى الأسرار الإلهية هو ولي اللّه ومتصل باللّه والهادي إلى طريق

اللّه، ولا يمكن أن يكون ولي اللّه الموحد، ولكن لا ولاية لديه، وارداً في الأسرار الإلهية ولكن لا يخضع مسلّماً في مقابل النبي والأئمة الأطهار- عليهم السلام - الذين هم مظهر أتم الأسماء والصفات الإلهية. لأجل ذلك كان الأنصاري الهمداني كالعبد والغلام في مقابل الأئمة- عليهم السلام -.

ينقل الدكتور علي الأنصاري عن والده قوله:» من آثار الولاية أساساً أن أبواب التوحيد تفتح على الإنسان، فإن كان لدى الشخص ولاية صحيحة، يجب أن يصل إلى التوحيد؛ وإلا فإن هذه الولاية لم تستطع أن تترك فيه أثرها كما يجب».

ويقول الحاج أحمد الأنصاري: «ذاك التوحيد المنفصل عن الولاية، أو الولاية المنفصلة عن التوحيد لا ارتباط لهما بالعرفان الإسلامي الحقيقي. كان يصر على أمر وهو أن الموحد حتماً يجب أن يكون توحيده توأماً لولاية محمد وآل محمد - صلى الله عليه وآله وسلم -، وبسبب هذا نحن كان لدينا أسبوعياً مجلس في منزلنا، وكان سماحته يدعو أشخاصاً يطمئن لهم واقعاً ومخلصين، وكان أصحابه ورفاقه يأتون ويقام المجلس.

**طفيلي وجود العشق**

السماء والأرض لم تخلق إلا م أجلهم، والإمام هو الاسم الجامع والمظهر الأتم لأسماء اللّه وخليفته. والإمام هو المثل الأعلى للّه، والكتاب المبين وواسطة الفيض. يقول الدكتور علي الأنصاري: «كان يقول عن الأئمة - عليهم السلام -: الأئمة- عليهم السلام -

وجود ممتاز خلقهم اللّه على رأس دائرة الكائنات، وهم العلة الغائية والهدف النهائي للخلق. الهدف النهائي للخلق هو أن اللّه- سبحانه- خلق الخلق طفيلي وجودهم، وهو إلى هذا الحد يحترم محمداً وآل محمد- صلوات اللّه عليهم-. طبعاً ليس بمعنى أن أقول: أنا أقدم نفسي فداء للإمام الحسين- عليه السلام- وفداء للإمام علي- عليه السلام- وانتهت القضية؛ كلا، إذا أظهر الإنسان المحبة للأئمة الأطهار- عليهم السلام- وبعد ذلك يقوم بكل عمل يريده ويرتكب آلاف المعاصي، فهذا لا ينسجم مع الولاية أبداً.

كان المرحوم والدي يقول: الولاية الحقيقية ومحبة الأئمة الأطهار- عليهم السلام- تكون مؤثرة في مكان عندما توصل الإنسان بسرعة وبدون جهد إلى المعرفة والحقيقة. الإنسان في ظل هؤلاء العظام يصل إلى النتيجة بشكل أسرع. في حال أنني أرى البعض يقيمون المجالس حتى آخر العمرمن أجل أنفسهم ويقرؤون العزاء ويضربون وجوههم، ولكن عندما يدخل المرء إلى حياتهم، يرى أن هؤلاء ليسوا كما يجب في المعرفة».

صفّ نفسك من أوصافك

كي ترى ذاتك الطاهرة الصافية

ترى في القلب علوم الأنبياء

بدون كتاب وبدون معبد وأستاذ

كان سماحته يقولك الولاية التي لا توصل الإنسان للمعرفة

ولا تنير عيون الإنسان الباطنية، ولا يستطيع أن يدرك الحقائق بسهولة، هي ولاية فارغة وليست غير تصور».

يقول آية اللّه السيد مهدي دستغيب: «نعم، من المحالات الأول: أن يصل أحد إلى معرفة اللّه- تعالى- بدون ولاية الأئمة الأطهار- عليهم السلام -!

ابن الفارض هو رجل عرفاني كبير إن رأيتم ديوانه، ففيه أشعار عجيبة منها شعر ترجمته:

«الشكر للّه في هذا الطريق أن لم أكن حتى الأن قد حصلت على شيء، وحصلت على حب أهل الرسالة»

وبعد أن يعرج إلى الأعلى يقول: إن ذلك بدون هذه الوسائط محال.

نقرأ في دعاء كميل العبارة التالية:

«وبنور وجهك الذي أضاء له كل شيء...»

إن وجه اللّه ـ سبحانه- هو إمام الزمان!».

يقول الحاج إسلامية:» كان سماحته يؤكد على اتباع سنة أهل البيت- عليهم السلام - وكان يحكي قصة شخص هندي كان يرى رأس الإمام الحسن ـ عليه السلام - في المنام، ووصل بهذه الوسيلة إلى اللّه- سبحانه- واهتدى».

وكان سماحته يقول: «الأئمة سفن النجاة، ولكن سفينة الحسين- عليه السلام ـ أسرع».

## صفاء القلب

إن من اختلطت ولاية الأئمة- عليهم السلام - بلحمه ودمه، وجرت محبة الإمام في عروقه، وخفق قلبه بعشقه، وضاق صدره من أجل إمام زمانه، ومن أجل معشوقه وليلاه يحب أقاربه ولهذا السبب أينما كان المسلمون فهم من عائلة واحدة، وليس أحدهم غريباً عن الآخر، وليس بينهم اختلاف، وهذه هي ثمرة التوحيد والولاية الواقعية التي كانت لدي الشيخ الأنصاري.

يقول الدكتور علي الأنصاري: «إن واحداً من شروط طريق التوحيد والمعرفة، هو أنه يجب أن لا يكون في قلب الإنسان أدنى غل وغش لأحباب أهل الطريق وأحباء أهل المعرفة؛ بل كان الشيخ يقول كراراً: إن واحداً من الامتحانات الكبيرة للسالك هي سوء الظن بعلماء الظاهر وأهل الشريعة قبل أن يصل إلى مرحلة التكامل؛ لأن أولئك الذين يصلون إلى مرحلة التكامل سيراعون جميع هذه المسائل بأدق المعاني».

## التبري

من كان لديه ولاية للإمام ومحبة له يكون لديه براءة من الأعداء بنفس المقدار، وإلا فلا يكون كاملاً؛ لأنه يحب كل ما يحب معشوقه، وبريء من مما هو بريء منه، وهذان الاثنان بدون بعضهما ياقصان.

يقول الحاج أحمد الأنصاري: «كان سماحته يقول: بنفس المقدار الذي تستطيع محبة أهل البيت أن توصل إلى المحبوب، يمكن أن توصل الإنسان إلى البراءة من الإعداء، والإنسان يجب

أن يكون لديه الاثنان معاً. ولهذا كان يقول دائماً في صلواته: اللهم صل على محمد وآل محمد وعجل فرجهم والعن أعداءهم. واللعنة تعني البراءة».

ويقول الحاج أحمد الأنصاري:» حالة التولّي والبرّي كانت مشهودة كاملاً في حياته، ولم يكن يمكنه- لا يمح اللّه- أن يأنس مع شخص منحرف أو يسير في غير الطريق الإلهي. ونحن كنا نرى أن المرحوم الشيخ كان يقطع علاقته بالأشخاص الذين كانوا كذلك وهم يعيشون حولنا، أو يوصلها إلى الحد الأدنى عندما كان يأتي بعضهم إلى منزلنا، وكان سماحته مجيراً على الارتباط بهم، أو أن يستقبلهم.

أحد أقربائنا وقد مات كان يعمل في القضاء، ولم يكن الشيخ رأي الشيخ فيه إيجابياً، وعندما كان يدعوه إلى منزله لم يكن سماحته يذهب، ولم يكن يريد أن يحدث فتور، إلى أن اضطر في إحدى الليالي إلى الذهاب. بعد أن أتى كان حزيناً جداً، وقد دفع بسبب الطعام الذي أكله رد مظالم».

يقول آية اللّه علي محمد دستغيب: «هو كان يعتقد أن التبري هو أحد المراحل التي يجب قطعها». «كان سماحته عجيباً في التبري وعندما كان شخص يقوم بعمل مناف للتبري، أو يحتمل أنه لديه ميل إلى أهل الكفر والفسق والفجور، كان ينزعج جداً، وتنتفخ أوداجه وينقلب وضعه».

الإيمان يعني الحب والبغض، يعني محبة أحباب اللّه ومعاداة أعداء اللّه، وهذا يعني محبة أحباء الأئمة ومعاداة أعدائهم.

«... بالنسبة للتولي كانت حال سماحته معروفة، فقد كانت حركته في هذا الطريق، وبالنسبة للتبري كان يذكر هذا الحديث عن الإمام الصادق- عليه السلام -:

«هل الدين إلا الحب والبغض»

وكان يبين أن الإيمان ليس إلا الحب والبغض، وكان سنوياً يقرأ هذا الحديث مرات عديدة وحديثاً آخر مشابهاً، ويشير إلى الرفاق أن الإيمان منحصر بالحب والبغض، يعني التولي والتبري. إن لم يكن هناك تولي فلا حركة، وإن لم يكن هناك تبري فيوجد السكون».

التولي يعني الدعاء لظهور ونصرة الإمام، والتبري يعني تمني القتال والشهادة...

ويقول الحاج إسلامية:» كان سماحته يقول في القنوت والركوع والسجود بعد الصلوات: والعن أعداءهم، وإن جاء شخص وقال: يا اللّه: كان يطيل الركوع ويقول: وعجل فرجهم واحشرنا معهم والعن أعداءهم أجمعين».

**أدب الحضور**

لقد عرف الشيخ الأنصاري اللّه جيداً، ومن عرف اللّه يمكنه أن يعرف خليفة اللّه؟! يستطيع أن يدرك معنى ومفهوم أمين اللّه، ويدرك الزيارة الجامعة. ومن عرف الإمام عرف مكانته عنده. إن نتيجة التوحيد الكامل والحقيقي هو الولاية الحقيقية التي دفعت الشيخ الأنصاري الهمداني هذا العارف الكبير للخضوع

أمام الإمام ويلقي بنفسه على التراب ليشم عتبة الأئمة- عليهم السلام- ويقبّله.

**في زيارة المحبوب**

يقول آية اللّه السيد مهدي دستغيب في هذا المجال: «عندما كان سماحته يدخل إلى حرم أمير المؤمنين- عليه السلام- كان يقبل العتبة».

ويقول الدكتور علي الأنصاري: «كان سماحته ينقلب وضعه في حالتين: إحداهما بعد الصلاة والأخرى عند الزيارة.خاصة عندما كان سماحته يزور كان ينقلب وضعه، وكانت تصيبه حالة من البكاء. وأحياناً كان يصل إلى حالة ينقبض قلبه أيضاً ويمرض ويبقى مدة بحالة غير عادية».

عندما كان يصل إلى الحرم ويسلم، كان يعلم أن الإمام يسمع ويرى ويجيب. فهو وقف في مقابل عين اللّه ويد اللّه، في مقابل الاسم الأعظم الإلهي، وهذا كان يغير وضعه ويعطيه الخضوع والخشوع ويبكيه.

وعن زيارته وآدابها وأدب حضوره يقول علي الأنصاري: «طبعاً هو كان يقرأ الزيارة غيباً، يعني أنه عندما كان يقرأ لم نكن نعرف أي زيارة يقرأ؛ ولكن أكثر هذه الحالات التي رأيتها كانت في كربلاء وحرم المعصومة- عليها السلام-. والحالة التي تستحق الرؤية هي أنه عندما كان يلصق وجهه بالضريح المبارك تنقلب حاله ولا يعود لديه أي ظهور.

كان سماحته يأنس بالإمام فقط، وكان الانقطاع عن مقامات الأئمة- عليهم السلام -، عن مشهد الرضا، عن النجف، عن كربلاء الحسين- عليه السلام - صعباً عليه، فهو هناك يكون أقرب إلى الله، لأجل ذلك كان عندما يذهب يبقى شهرين ولا يريد أن تذهب لذة هذه الزيارة، هذا الحضور، هذا البقاء إلى «جنب الله». وكان يذهب إلى

يقول الحاج إسلامية:» كان سماحته يذهب إلى قم ومشهد كثيراً، وكان يرجح في أكثر الأسفار التي كان يذهب فيها وحده أو مع أصدقائه أن يبقى هناك شهراً أو شهرين. وعندما كان يذهب إلى الحرم كان يلبس لباساً لا يعرف به. كان يذهب إلى حرم الإمام الرضا - عليه السلام - بشكل يكون مجهولاً تماماً، وكان يبقى هناك في خدمة الإمام- عليه السلام -. وكان يذهب إلى النجف وكربلاء».

### علامة القبول

لقد سمع سماحته الجواب مرات عديدة عندما سلم على الإمام في مقابله. عند سؤاله- هو حبيب الأئمة ولا حجاب بينه وبينهم- عن علامة قبولنا في محضر أولئك العظام عند الزيارة، قال: «في إذن الدخول لزيارة الإمام الرضا- عليه السلام - توجد هذه الفقرة:» أشهد أنك تشهد مقامي وتسمع كلامي وترد سلامي»... عندما تقرؤوا- إذن الدخول، إذا حصلت لديكم حالة خضوع وخشوع وبكاء، فاعلموا أن أئمتكم- عليهم السلام - قبلوكم. ولكن إن لم تكن لديكم هذه الحال، فاصبروا وتحملوا حتى تحصل لكم هذه الحالة».

أما أنا وأنت إن كنا محبين صادقين، فمن المناسب عندما نسمع وصف حالاته، أن نقول في أنفسنا:

«يا حسرتا على ما فرطت في جنب اللّه»

واحسرتاه على تلك الأيام التي كنت فيها إلى جانب الإمام وأنا غافل عن حضوره، وأعمى عن رؤيته وأصم عن سماع جواب سلامه! وكم هي مختلفة زيارة الشيخ الأنصاري عن زيارتنا، فنحن لا نفهم عظمة الإمام ولا نراعي أدب الحضور.

## حديث العشاق

أحدى نتائج التولي والتبري هي الأحوال والظواهر التي تبدو على الشخص في أيام ولادة وشهادة الأئمة الأطهار- عليهم السلام - والتي كان الشيخ الأنصاري فائضاً بها. يقول الدكتور علي الأنصاري: «كان المرحوم الشيخ في أيام الآحاد صباحاً في منزل الشيخ يبين مباحث في مجلس العزاء التي تقام عنده، واستمر حتى هذه الأواخر مع أن بدنه كان قد صار ضعيفاً جداً. أنا أذكر أنه عندما كانت قطرات الدمع تخرج ن عينيه يتغير وضعه بحيث أنه لم يكن يستطيع أن يتابع كلامه. كان الوضع في منزل الحاج همايوني، وفي منزل المرحوم بيك زاده أيضاً كان يقيم مجالس العزاء عشرة أيام، وبعض صلاة المغرب والعشاء كان يقرأ عدد من المدّاحين وقراء العزاء ثم يتكلم هو ثلاثة أرباع الساعة».

## مظهر العشق العريان

الحسين- عليه السلام - شهيد العشق، والعشق يجعل عمل الإنسان

يصدر منه بشكل لا إرادي وبحيث يكون غائباً عن نفسه. إن محبة الحسين- عليه السلام- مكنونة في قلوب المؤمنين منذ الأزل، وكلما كان القلب أطهر كانت المحبة أكبر. وقد كانت أحوال الشيخ الأنصاري كذلك في أيام شهادة الإمام أبي عبد الله- عليه السلام- يقول الدكتور علي الأنصاري:» كان سلوكه بنحو لم يكن يستطيع أن يسمع مصائب الإمام أبي عبد الله- عليه السلام-. في أحد المجالس التي كانت تقام في منزل الشيخ السبزواري كان شخص يقرأ رثاء فاضطرب حاله».

«في أحد الأيام صباحاً في طهران دخل منزل شخص اسمه الميرزا العطار، حيث كان يقام مجلس عزاء في منزله نهاية الأسبوع. تحير الشيخ الأنصاري ماذا يفعل؟ هل يخرج من المنزل أم لا؟ في هذا الوقت دخل صاحب المنزل وقال: نحن غداً صباحاً لدينا مجلس عزاء، الخيار بيدكم، إن أردتم أن تخرجوا، لعل المجلس غير مناسب لكم؛ فخرج سماحته. هو لم يكن يستطيع أن يسمع مصائب الإمام أبي عبد الله- عليه السلام-. لقد رأيت أنا نفسي أنه بعد كلامه عندما قرأ المجلس أصابته حالة عجيبة. هكذا كانت المصائب تؤثر به، فقد كان لديه إضافة إلى محبة الأئمة- عليهم السلام- عبودية كاملة».

الحسين- عليه السلام- هو مظهر العشق والحب الإلهيين، ومعشوق ومحبوب الشيخ الأنصاري الهمداني، وكانت زيارة عاشوراء ومصائب أهل بيت الإمام الحسين- عليه السلام- تزيد من حرقة ولوعة قلبه، وتريق دموعه أكثر. إن روح الشيخ الأنصاري

لطيفة وقلبه رقيق، ألطف من الورد وأصفى من الماء. كان يعرف الإمام، ولهذا السبب كان يدرك عظم المصيبة، وكان يفقد طاقته عند سماع المصيبة.

يا حسين!

يا من عشقك أحرق الأرواح في العالم

ثابتة حرقة عزائك في العصور

كما أنك أعطيت الروح في سبيل رضى الحبيب

يعشقك العالم يا أشرف البشر

قول الحاج أحمد الأنصاري:» كان سماحته يصر جداً على إقامة مجلس الإمام الحسين- عليه السلام -. وقد أمر آية اللّه نجابت: فليكن لديك هذا البرنامج في شيراز حتماً. وهو كان يقيم هناك في كل ليلة جمعة مراسم العزاء مع سبعين أو ثمانين طالباً، وكان يصر جداً على هذا الأمر. في بعض الأحيان كان وضعه ينقلب كلياً. في إحدى المرات خرج عن وضعه الطبيعي. كان يقول: أقيموا هذه البرامج، وكان سماحته يصر على المشاركة حتى في الجلسات الأخرى التي كان اصدقاؤه يقيمونها في همدان في جميع الأعياد والولادات».

إنه مؤمن حقيقي، والمؤمن يفرح لفرح الأئمة- عليهم السلام - ويحزن لحزنهم. تقول فاطمة الأنصاري عن تلك الأيام: «في أيام عاشوراء عندما كانوا يحضرون لنا اللبن من القرى، كان يقول لا تأكلوه وأعطوه للناس مجاناً».

ويقول الحاج إسلامية: «سماحته كان يهتم بأيام الولادة، وكان يصر على قراءة المديح لأهل البيت- عليهم السلام -. كان يختار مديحاً من الكتاب من أجل قراءته للتلاميذ ويقدم الطعام في ليلة ميلاد الإمام الجواد- عليه السلام -. في أيام الشهادة أيضاً كان يقيم جلسة عزاء دائماً، وبالأخص في محرم وصفر وشهادة أمير المؤمنين- عليه السلام -. هو طبعاً كان لديه حالة خاصة، وكان ظهوره قليلاً جداً. كل ما كان لديه كان في قلبه. في المصيبة كان ينقلب وضعه أحياناً، وكان يختنق بحيث أنه لم يكن يستطع أن يتكلم.

**سيدة خلوة الكبرياء**

متى يصل الوهم إلى أوج قدس ناموس الإله

ليفهم ما هو نعت سيدة خلوة الكبرياء

الأئمة- عليهم السلام - هم الحجة على الخلق، وفاطمة- عليها السلام - هي الحجة عليهم، ولا يستطيع الذهن أن يحيط بمفهوم «حجة على حجج اللّه».

ينقل الحاج أحمد الأنصاري عن والده:» كان سماحته يقول: أهل العصمة والطهارة هم فقط الذين يعرفون مكانة السيدة الزهراء- عليها السلام -، ولا يستطيع غيرهم إدراكه. سماحته كان لديه احترام خاص للسيدة الزهراء- عليها السلام -. كان يقول: إنه نور تفضل اللّه به إلى الأئمة المعصومين- عليهم السلام - بواسطة السيدة الزهراء- عليها السلام -، وهذا النور يصل من الأئمة المعصومين إلى باقي عباد اللّه».

الفيض الأول والخير هو نور جمال فاطمة

إن نظرت عين القلب في المبدأ والمنتهى

صورة شاهد الأزل هي معنى الحسن الذي لم يزل

الوهم كيف يستطيع وصف مرآة الحق

في أيام الفاطمية كان سماحته يقيم مراسم العزاء في المنزل، وكان السادة يأتون ويقرؤون العزاء، وكان لديه بعض الإشارات وكانت في مستوى عال، وكان يجب أن يفهموا، فقد كانوا قليلون جداً. الآخرون لم يكونوا يفهمون أبداً كي يعترضوا. ماذا يدرك فكرنا القاصر عن مدار عصمة علم الخلق، وأي عظمة فيه؟!

إن كنت أنا ملوث اليدين فأين العجب؟

كل العالم شاهد على عصمته

أنا عندما أكون في ذاك الحرم حيث كأس الخمر

أكون حارس حجاب حريم حرمته

**محفل الحب**

يكفينا أن نذوق منك مجرد شم رائحة من زقاقك

نحنموجودون لنصيرطالبين للقائك

يقول آية اللّه السيد علي محمد دستغيب: «الشيخ الأنصاري الهمداني ولي اللّه، وولي اللّه لا حجاب بينه وبين اللّه، ومن لم يكن بينه وبين اللّه حجاب هل يكون بينه وبين إمام الزمان

حجاب؟! هو يرى إمام الزمان دائماً. لا أن يكون تخيلاً، لا! هو حضور واقعي، يعني أن قلبه متصل بقلب إمام الزمان؛ وإلا فلا يكون ولياً. كان سماحته يعرف السادة بنورهم، فهل يمكن أن لا يرى ولا يعرف نورانية الإمام الذي يكون كل السادة نورانيينببركته؟ هؤلاء ليس لديهم بعد وقرب».

نعم!

جمال الحبيب ليس لديه نقاب وحجاب ولكن

أخمد غبار الطريق كي تستطيع النظر

أيها الغائب عن النظر...والمهدي- عجل الله فرجه الشريف- ليس غائباً وخلف الحجاب؛ بل هل من الممكن أن يكون غائباً من أضاءت السماء والأرض بنوره؟ يجب أن نزيح الحجاب من أمام أعيننا:

﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾

والشيخ الأنصاري لديه مقام التشرف، بل قلبه ليس غائباً عن ذكر الإمام لحظة. يقول السيد علي محمد دستغيب:» سماحته كان يرى نفسه عبد إمام الزمان، بل تراب أقدامه»

ويقول أحمد الأنصاري:» عندما كان اسم الإمام ولي العصر- عجل الله فرجه الشريف- يذكر، كان سماحته يتغير لونه دفعة واحدة، ويتغير وجهه».

لم يكن لديه طاقة لتحمل بعد الإمام، وكان يعيش بعشق مولاه.

نفساً نفساً إن لم أشم رائحتك من النسيم

زماناً زماناً كالورد أمزق الأكمام من الغم

ويقول:» سماحته إضافة إلى تأكيده الكثير على زيارة عاشوراء، كان يقول أيضاً: اقرأوا زيارة آل ياسين كثيراً، وكان يقول: توسلوا بالإمام كثيراً، واطلبوا منه أن يزيل مشاكل دنياكم وآخرتكم وسيركم وسلوككم، لأنه - عليه السلام - هو ولي العصر، وأمرنا بيده».

يقول الحاج إسلامية عن تشرف سماحته:» أنا سألته في إحدى المرات كيف يمكن الوصول إلى ولي العصر- عجل الله فرجه الشريف -؟ قال: عندما لا يعود يختلف عندك حضوره وغيبته.

أما عن تشرفه فمهما أصر من هم حوله كان يقول لا تسألوا. طبعاً الأشخاص المميزين وأصحاب المستوى العالي لا يسألون، ومن كانوا يسألون هم الذين كانوا في المستوى الأدنى».

يقول علي الأنصاري:» أولاً انتبهوا إن الأشخاص الذين وصلوا إلى خدمة ولي العصر- عجل الله فرجه الشريف - إن كانوا فقهاء وعدولاً ومجتهدين كاملين، فإنهم لن يذكروا ذلك أبداً، ونادراً ما حصل. وإن كانوا يذكرون فغالباً بعد أن يأخذوا منه عهداً أن لا يذكر ذلك إلا إلى أشخاص معينين. مثلاً العلامة الحلي وأبو الحسن الأصفهاني عندما كانا عندما يذكرون ذلك كانوا يطلبون عدم ذكر ذلك لأحد، والمقدس الأردبيلي كان يأخذ قولاً من صاحبه أن لا يقول لأحد ما دام حياً، فهؤلاء كانوا كذلك».

ويقول السيد علي محمد دستغيب:» كان سماحته يتكلم عن التشرف بعد أخذ العهد على عدم القول، أو كان يحكي ذلك لأشخاص معينين. كان يقول إذا لم ير ولي اللّه إمام الزمان حاضراً دائماً، ولم يكن قلبه متصلاً معه، فهو لن يكون ولي اللّه. وقد سمعت منه التشرف خمس أو ست مرات».

واحسرتاه فنحن سمعنا فقط عن هذه الأربع أو الخمس مرات، والشيخ الأنصاري لعله نال حضوره- عليه السلام - مرات وركع أمامه، ونظر إلى عينيه وغاب فيهما، وترنمت خفقات قلبه المحترق عند الفراق بهذا الشعر:

سكن غمك في داخل منزل القلب

افخر فليلى سكنت في المنزل

طائر قلبي هذا الطائر الوحشي

عندما يطير عن سطح صعب أن يحط

أفخر بحفل المحبة الذي هناك

يجلس مستعط مقابل الشاه أمل اللقاء

يقول أحمد الأنصاري عن والده في مسألة الفرق بين التشرف بحضور الإمام- عجل الله فرجه الشريف- وبين المكاشفة: «يقول سماحته أكثر الأشخاص الذين يصلون إلى خدمة الإمام، فهو بنحو المكاشفة وليس المشاهدة. كنا نسأل سماحته عن الفرق بينهما، فيجيب: إذا انقضى ذالك الوقت ورأيتم أن الأثر باق فهو مشاهدة؛ وإن لم يبق أي أثر عندكم وذهب ذاك الأثر فهو مكاشفة، وعندما كنا

نسأله بحسرة: كيف نصل إلى خدمة الإمام، وماذا نفعل؟! كان يقول: أي سؤال هذا الذي تسألونه؟ أنتم تستطيعون أن تصلوا إلى خدمة اللّه خالق الإمام. ذاك صعب جداً إلا أنه ممكن، فكيف لا تستطيعون الوصول إلى هذا؟»

لم يقل لنا كيف وصل هو إلى حضور اللّه الذي تكون نتيجته وصال الإمام، وألم يعلم هو أحوالنا وأننا قد نسينا الحضور في محضر اللّه فكيف بالحضور في محفل الإمام المهدي- عجل الله فرجه الشريف-.

في تلك الليلة المظلمة وخوف الموج والأعاصير الهائلة نمد أيدينا إلى الخالي البال السواحل الذي هو المهدي الموعود، ونحكي إن أحوالنا:

البحر والجبل في الطريق وأنا تعب وضعيف

أيها الخضر ذو الحضور المبارك مدّ في همتي

أنا بعيد بالظاهر عن باب دولة قصركم

لكن بالروح ولقلب أنا من مقيمي الحضرة

حافظ سيسلم الروح أمام عينيك

أنا بهذا الخيال ولو أعطاني مهلة العمر

ويقول سماحته عن عصر ظهور: «هو قريب؛ ولكن إذا دعوتم يصير أقرب؛ لأن دعاءكم مؤثر جداً، وكان يقول: «ادعوا لأجل ظهور الإمام بقدر ما تستطيعون»

اللهم عجل لوليك الفرج

## الفصل الثالث عشر

# المحترق

### يا صاحب الحال دلالك اللطيف أخذني من بنياني

#### الملل من نفس الملائكة

هو الآن يمضي آخر لحظات حياته في حال أن جسمه لم يبق منه شيء إلا بدن نحيف. يقول الحاج إسلامية: في السنة الأخيرة التي كانوا يأخذونه فيها إلى الطبيب في طهران، كان الطبيب يقول: هذا القلب هو قلب عاشق محترق القلب، قلب كان مبتلى بالعشق منذ خمس وثلاثين سنة. وكان هو يقول لمن حوله: «حقاً كم كان تشخيصه صحيحاً».

وكان يناجي ربه في قلبه:

أخذت القلب مني غارة أيها التركي المغير علي

أرأيت ما أنزلت من القلب على رأسي أيها الحبيب

عشقك رقد في القلب، القلب متألم والجسم عاجز

ذهبت، فصار كالقوس والسهم من الغم بدني[1]

---

(١) صفاء الأصفهاني.

## الدلال اللطيف

عندما وصل وقت موته علا صوت الترحيب و«طوبى لك» من الملائكة:

«مرحبا لك فطوبى لك، طوبى لك، إن اللّه إليك مشتاق»[١].

ومن اشتاق اللّه إليه كيف لا يبدأ بالهمس قبل سنة أن أستعدوا أنا أريد أن أذهب! تقول ابنته فاطمة الأنصاري:» كان سماحته يقول: ما يريد اللّه، ولم يكن يقول: تعبت، كان يقول: يجب أن أذهب. هناك جميل يقول: تعال!»

لقد جاءه نداء» ارجعي» فلم يعد يقر له قرار. يقول الدكتور علي الأنصاري:» كان سماحته في الأسبوع الأخير مضطرباً، كان يذهب إلى أول الزقاق ويرجع بشكل غير عادي، كأنه كان يرى شيئاً».

نقل عن المرحوم السبزواري عن أحواله:» في آخر عهده كانت لديه تصرفات غير عادية، وكان في حالة ملتهبة.جاء مرتين أو ثلاث كي يصفي الحساب معنا، أنا كنت أتهرب إلى أن قال في المرة الرابعة: أخي! أنا راحل، لماذا تتهرب؟!»

«في المدة الأخيرة سأله السيد السبزواري: كيف حالكم؟ لأنه في ذلك الوقت كانت رجله تؤلمه. قال: نحن في هذين اليومين نعيش عمراً جديداً، سأله: كيف؟ فأجاب سماحته: الشيرازيين(مقصوده آية اللّه نجابت) علم بوقت الموت، وقد

---

(١) رسالة لقاء اللّه، ص٤٣.

افتدى شاة، وقد تأخر ولم يقل حتى متى؟ وقد توفي في تلك السنة بعد شهرين أو ثلاثة أشهر».

تقول ابنته فاطمة الأنصاري:» قبل سنة من موته عندما كانت تصيبة سكتة دماغية، كان السيد تناوش والعلامة الطهراني يأخذان له موعداً مع الطبيب، كان يقول لهما: أنا لن أبقى معكم أكثر من أحد عشر أو اثنى عشر شهراً فلا تتعبوا».

وفي شهر فروردين سنة ١٣٣٩ هـ.ش أوصى بوصاياه إلى ولده الأكبر، وقال أنا راحل، أنت والد أطفال فاهتم بهم، هذا تقدير من اللّه. في النهاية في عصر الثلاثاء السادس من أرديبهشت عام ١٣٣٩ هـ.ش الموافق للتاسع والعشرين من شوال ١٣٢٧٩هـ.ق اختل وضعه وشل نصف بدنه قبل صلاة الظهر والعصر على سجادة العشق حال المناجاة مع إلهه.

حمل غم عشقه لا يتحمله الفلك

فكيف يستطيع الحمل بدني النحيف هذا

أولاً جعل قلبي صافياً وجلا مرآتي

وأخيراً نشر عشقك بريح الفناء رمادي[1]

في النهاية وصلت لحظات الوداع مع الدنيا الفانية، وفي هذا الوقت وصل نداء الملائكة إلى الآذان:» اعلم يا ولي اللّه إن الأبواب التي كان يصعد منها عملك تبكي عليك وإن محرابك ومصلاك يبكيان عليك».

---

(١) ديوان صفاء الأصفهاني.

ويجيب:» أنا راض برضوان اللّه وكرامته»

فما حاجتي إلى البقاء في هذا المنزل الضيق فرضوان اللّه أعلى.

أنا صرت ملولاً من نفس الملائكة

أحمل لأجلك القال والقيل العلمائي

تراب بابك جنتي، لطف وجهك خلاصتي

عشقك مصيري، راحتي رضاك[١]

«وكنا جميعاً راضين، كنا نبكي وننتحب؛ ولكن كنا راضين لأنه كان راضياً، وحتى بعد وفاته كان الجيميع راضين. عند وفاته كان الجميع يشمون رائحة عطر وورد في الغرفة، وكان وجهه كأنه مسح بلمسة من نور، وجهاً نورانياً وأكثر شباباً من قبل وعيون جميلة، وكان لديه حالة إلهية وأنني لم أفهم هذا».

في النهاية عند الساعة الثانية وعشر دقائق من ظهر الجمعة التاسع من شهر أرديبهشت الموافق للثاني من ذي القعدة انتقل إلى العالم الأبدي. وبشرته الملائكة بشارة عظيمة: «ويبشرونه بالبشارة العظمى، ... طبت وطاب مثواك، إنك تقدم على العزيز الكريم الحبيب القريب»[٢]. واللّه راض عن عبده:

﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ * ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ * فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي * وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي﴾

(١) ديوان حافظ الشيرازي.

(٢) رسالة لقاء اللّه، ص٤٣.

حقيقة، أي سعادة أكبر من أن يرضى اللّه عن الإنسان، ويكون جزاؤه أن يدخل في عباده الخاصين ويدخلون جنة الذات وجنة اللقاء.

«فيطير الروح من أبدي الملائكة فيسرع إلى اللّه في أسرع من طرفة عين، فلا يبقى حجاب ولا ستر بينها وبين اللّه تعالى واللّه تعالى إليها المشتاق»[1]

أنا سكران بخمر عشقي لن أصحو

من نوم السكر الجميل لن أصحو

أنا سكران من خمر الليلة الماضية

حتى صبح القيامة أيضاً أنا لن أصحو

لأنني من صنع ألمي لن احضر في الحلقة

لأنني محترق بعشقي لن أكون في النار

ويسمع سلام الملائكة وسلام اللّه عليه، تقول السيدة فاطمة الأنصاري:» يقول المهندس تناوش: عندما كانوا يدورون بتابوته حول ضريح المعصومة- سلام اللّه عليها- سمعه يقرأ الزيارة، ودفن في مقبرة علي بن جعفر في قم»

**شمس الصالحين**

يقول معارفه وتلامذته: إنه ما زال يساعدنا. نعم الروح التي

(١) رسالة لقاء اللّه، ص ٤٣.

تحررت من قالب البدن ربما تكون أكثر راحة من قبل وأقوى مما سبق إذا أرادت الإحاطة بالدنيا الفانية، وتساعد تلامذتها.

بشوق لإصبعك فائضة الآهات

حتى تصل إلى جوارك ماذا يفعل المتعلق بالآه.

يقول الحاج إسلامية: «كلما كان لدي مشكلة كنت أراه في عالم الرؤيا وتحل مشكلتي، وما زال الحال كذلك. الحمد للّه أغنانا اللّه عن الحاجة إلى شخص آخر، والآن أنا إذا جلست في مجلس أحد أولياء اللّه أرى أن الكلام ليس جديداً، العمل فقط العمل، يجب أن نعمل».

تقول فاطمة الأنصاري: «كل رفاقه يقولون عندما نذهب إلى قبر المرحوم الأنصاري تحل مشاكلنا، حتى أننا ننذر له ونحصل على جواب، وبعد الرجوع عن قبره نبقى مسرورين وفرحين إلى مدة طويلة. بعد وفاته كان أخي وأختي يريان روحه فكان يأتي إلى البيت ويطل علينا. كان السيد تناوش يقول كثيراً: روح أبيك المرحوم الآن هنا. أنا لم أكن أصدق إلى أن جاء بنفسه في الليل ورأيته في المنام وقال: أنا كنت هنا».

المرحوم محمد حسين البيات أيضاً رآه في المنام بعد أربعة أو خمسة أيام من وفاته يقول: لا تبقوا العزاء، وأرسلوا الحاج إسلامية والسيدة أكرم إلى بيت الحظ، في ذلك الوقت دخل ملكان وقالا: سيدي فلنذهب النبي ينتظركم. يقول الأستاذ كريم محمود الحقيقي أيضاً: كان أخي من مريدي الشيخ الأنصاري والشيخ نجابت، عندما توفي أخي كان السيد جباري إلى جانبه،

قال: هو في اللحظات الأخيرة فتح عينية وقال: «الآن كان الشيخ الأنصاري هنا (طبعاً في ذلك الوقت كان قد مضى على وفاته ثلاثين سنة) وقال لي: الآن إذا أردت أن تأتي فنظف أحذية الرفاق وتعال». قال ذلك وبعدها غاب عن الوعي ومات. كنت أريد أن أقول: انظروا إلى أولياء اللّه يأتون حتى في حال النزع. فيما بعد سألت الشيخ نجابت ماذا يعني تنظيف أحذية الرفاق؟ قال: كان بسبب لديه ذرة حزن لعدم مجيء الأصدقاء لرؤيته، وقال الشيخ الأنصاري له: أبعد هذا الحزن عن ذهنك وتعال. نعم هؤلاء لديهم إحاطة بكل شيء سواء قبل الموت أو بعد الموت».

**شهيد العشق**

هو شهيد، شهيد العشق:

«من مات من العشق فقد مات شهيداً»

وديته اللّه كما في الحديث القدسي:

«ومن قتلته فأنا ديته»

ونحن ماذا نستطيع أن نقول في علو وعظمة هذا المثال للعشق والحب والإخلاص والتوحيد؟ لاشيء!

يقول الدكتور علي النصاري: «بعد وفاة الشيخ ذهبت إلى حوزة المرحوم الشيخ نجابت العلمية في شيراز وقلت له: في تلك اللحظات الأخيرة أنتم ماذا فهمتم عنه؟ تأوه الشيخ نجابت وتغير وامتلأت عيناه بالدموع وقال: إن كان عالماً فنعم العالم وإن كان عارفاً فنعم العارف وإن كان عابداً فنعم العابد.

قال ذلك وتاثر بشدة. أن ارتباط هؤلاء كان عجيباً جداً. عندما وصل خبر وفاة المرحوم الشيخ إلى الشيخ نجابت انفلج جانب من بدنه». والعجيب أننا مهما قلنا وسمعنا وكررنا الحديث نقول ذلك ثانية: نعم:

ليس أكثر من قصة واحدة غم العشق وهذا العجب

من كل لسان حيث أسمع لا يكون مكرراً

نقشت على حجر قبر هذا المحترق بالعشق هذه الكلمات:

أظهر للفاني من الكرم نظرة ايها الحبيب

فهو صار محترقاً في سبيلك قتيل ومهجور

هذا المرقد الشريف مسكن بدن العالم الباني الطاهر والمربي الروحاني، فريد العصر، ترجمان القرآن والمجاهد في سبيل اللّه، العالم العابد الناسك العارف باللّه، حضرة آية اللّه العظمى وحجة اللّه الكبرى المرحوم الحاج الشيخ محمد جواد الأنصاري( رضوان اللّه عليه)، ابن المرحوم الحاج فتحعلي الهمداني، الذي أشرقت على قلبه الأنور في ريعان الشباب بارقة جذوات الشوق الإلهي، وهبت النفحات السبحانية على قلبه المنير، ونفض أذياله من العالمين، أغمض عينه عن غير اللّه، ولم يسر في غير طريق لقائه؛ حتى نصب خيمة رحله في حريم القدس وحرم الأمي والأمان الإلهي. حاز أقصى مدارج القرب، وبسن تسع وخمسين سنة في يوم الجمعى الثاني من ذي القعدة عام ١٣٧٩ هـ. ق رحل من بيت ظلمة الغرور إلى دار الخلود.

## الفصل الرابع عشر

# لأجل النهاية، لأجل البداية

**بداية السعادة ونهاية الانتظار أنت...**

**لأجل النهاية، لأجل البداية**

يصل هذا الكتاب إلى نهايته وحكاية العشق ما زالت باقية.

هذه الصاعقة السماوية تهدم كل يوم قلباً آخر، شعلة المحبة هذه تحرق كل يوم محصول فراشة أخرى، وهذا البحر الهادر يطلب كل يوم غريق آخر.

لعلهم يوماً ما ينادونك أنت أيضاً!

عسى أن يوجد اسمك بين أسرى شبكة ذاك المقوس الحاجب!

هل أنت منتظر لندائه؟

من تلك الناحية للشمس، من ناحية البحر تلك

نادني! نادني!

أنت البسمة الحمراء، بعد عشاء الحرية

حررني من تلك الكدورات

إن البارقة التي جرت الشيخ محمد جواد الأنصاري إلى هذه العرصة المفعمة بالحوادث، لم تكن لقلبه فقط، فهذه النفحات تهب لأجلي ولأجلك أيضاً. يجب أن نوقظ قلوبنا كي نجذبها، وننال ذلك الجوهر المقصود.

قال النبي: إن نفحات الحق

في داخل الأيام تأتي بالسبق

فليكن لديك سمع واع في هذه الأوقات

تجذب مثل تلك النفحات

جاءت نفحة، رأتك وذهبت

كل من أراد وهب النفس وذهب

وصلت نفحة أخرى فكن يقظاً

كي لا تبقى بعد هذه أيضاً عبداً ذا شريك

إذن اسمع:

لعلهم ينادونك أنت أيضاً بين اصحاب خلوة السماء.

لعلهم يدعونك انت أيضاً إلى ذاك القدح المليء بالشراب

لعلهم يدعونك أنت أيضاً إلى ضيافة الحبيب

حقاً، هل هيأت نفسك؟

رفعت ياقة قميصك؟

رفعت قدميك برجولة؟

واللّه أيضاً منتظر لك، وذاك الموعود الرحيم قائدك، ونحن جميعاً عيوننا على طريقه...

إذا سمعت صوته، تذكر هذا الغبار! تذكر!

إذا أحرقتني رؤية المحبوب فلا عجب

فذاك الشمع، مراد القلب كان مجنوناً بي

**أن الحمد للّه رب العالمين**

# الفهرس




**هل رأيت حتى الآن شخصاً عاشقاً لهذا الحد يحترق قلبه وجسمه أيضاً؟ هل سمعت حتى الآن جسماً "محترقاً" بلهيب العشق حتى يسود؟**

فانظر إليه "الأنصاري الهمداني" هو كان محترقاً بروحه وجسمه النحيف.

"في يوم من الأيام ذهبنا معه وعدد من الأصدقاء للإستحمام إلى حمام عمومي، عندما نظرنا إلى صدره، كانت الناحية اليسرى من صدره وفوق قلبه بالدقة سوداء، وكأنها قد احترقت من شدَّة الحرارة.

قلنا له بخوف: صدركم يا سيدي؟

أجاب: هذا من احتراق الباطن".

**من هذه النار الخافية التي في صدري الشمس**
**شعلة أحاطت بالسماء**

لهذا سمينا هذا الكتاب عن أحواله " المحترق".




الرويس، شارع الرويس، بيروت - لبنان
Mob: 00961 3 689 496 | TeleFax: 00961 1 545 133
info@daralwalaa.com | daralwalaa@yahoo.com

ISBN 978-614-420-234-0